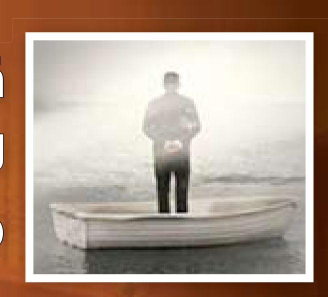


العدد ١٠١١ - الاثنين ٢١ شوال ١٤٤٠هـ - الموافق ٢٠١٩/٦/٢٤م



ذم الانقياد للهوى في منهج الإصلاح

هدي الإسلام في نقد الأخطاء وتصحيحها



الفتوى الشرعية

إخبار بالحكم الشرعي المجمع عليه مع التبيين والإيضاح











مشروع الوقف الخيري رؤية إسلامية متطورة

تبرعك لمشروع الوقف الخيري... يجعلك تساهم في جميع أوجه الخير المختلفة





كل هذا من ثمرة وقفكم لعام 2018 - السلة الرمضانية (اليمن)



web www.waqf-khairy.com

تبرع أونلاين ولو بدينار واحد فقط

يمكن لعملاء زين التبرع من خلال إرسال الرقم (1) برسالة نصية بقيمة (1) دينار

أو إرسال رقم (5) برسالة نصية بقيمة (5) دينار على رقم (94044)

قرطبة - قطعة 5 - مقابل فحص العيون التابع لإدارة المرور

تلفون: 25310521 - فاكس: 25339067

ص.ب: 5585 - الصفاة - الرمز البريدي: 13056 - دولة الكويت

﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾



الفرقان

مجلة إسلامية أسبوعية تصدر عن جمعية إحياء التراث الإسلامي

الفرقان ١٠١١ - ٢١ شوال ١٤٤٠هـ
الإثنين - ٢٠١٩/٦/٢٤م

رئيس مجلس الإدارة
طارق سامي العيسى

رئيس التحرير
سالم أحمد الناشي

www.al-forqan.net
E-mail: forqany@hotmail.com

المقالات والآراء المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي الفرقان والمجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر

المراسلات

دولة الكويت
ص.ب ٢٧٢٧١ الصفاة
الرمز البريدي ١٣١٣٣
هاتف: ٢٥٣٦٢٧٣٣ (مباشر)
الخط الساخن: ٩٧٢٨٨٩٩٤
٢٥٣٤٨٦٥٩-٢٥٣٤٨٦٦٤ داخلي (٢٧٣٣)
فاكس: ٢٥٣٦٢٧٤٠

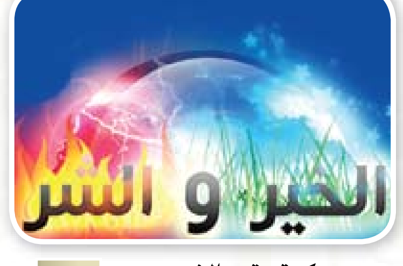
حساب مجلة الفرقان
بيت التمويل الكويتي
01101036691/2



طبعت في مطابع لاكي

في هذا العدد







الاشتراكات

الاشتراكات السنوية
- ١٥ دينارا للأفراد (أول مرة)
- ١١ دينارا التجديد لمدة سنة
- ٢٥ دينارا للمؤسسات والشركات داخل الكويت أو ما يعادل ١٠٠ دولارا أمريكيا لمثيلاتها خارج الكويت.
- ٢٠ ديناراً كويتياً (للدول العربية)
- ٣٠ ديناراً كويتياً (للدول الأجنبية)

وكلاء التوزيع
- دولة الكويت:
شركة الخليج للتوزيع
هاتف: ٢٤٨٣٦٦٨٠
: ٢٤٨١١٦٦٦

سعر النسخة في الكويت ٢٥٠ فلسا

السعودية ٤ ريالات - البحرين ٣٥٠ فلسا - قطر ٤ ريالات - سلطنة عمان ٥٠٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - المغرب ٥ دراهم - الإمارات ٤ دراهم



التربية بالقدوة

حمل الرسول ﷺ الوالدين مسؤولية تربية أبنائهم مسؤولية كاملة؛ فعن ابن عمر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها»، وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

ذكر القاضي أبي بكر ابن العربي في كتابه (مراقي الزلفي) «اعلم أن الصبي أمانة عند والده، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورته، وهو قابل لكل نقش، وقابل لكلِ ما يمال به إليه؛ فإن عُوِّد الخير وعُلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، يشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له مؤدب، وإن عُوِّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم به والولي عليه، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من القرناء السوء.

خصص البخاري كتابا في صحيحه سماه كتاب: (الأدب وشرحه) بقوله: الأدب هو ترويض النفس على محاسن الأخلاق، وفضائل الأقوال والأفعال التي استحسنها الشرع وأيدها العقل، واستعمال ما يحمد قولا وفعلا، وهو مأخوذ من المأدبة، وهو طعام يصنع ثم يدعى الناس إليه سمي بذلك، ولاشك أن أعظم نوع من التعليم هو التعليم بالقدوة.

يقول الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
نصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهيت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى
بالعلم منك وينفع التعليم

وشخصية الرسول ﷺ خير قدوة إمام المربين والمتربيين على حد سواء؛ فيجب أن يكون قدوة للمربين في تمثيله الحياة الأخلاقية لدرجة أن المرء يستطيع أن يقرأ المبادئ الأخلاقية في حياته، كما قالت عائشة -رضي الله عنها- عندما سئلت عن أخلاقه: «كان خلقه القرآن».

ومن رحمته ﷺ بالأطفال أنه ما كان يعاتبهم على تصرفاتهم؛ فهذا أنس رضي الله عنه يصف تربية الرسول ﷺ: قدم النبي ﷺ المدينة، وأنا ابن تسع سنين؛ فانطلقت بي أم سليم إلى نبي الله ﷺ؛ فقالت: يا رسول الله هذا ابني استخدمه؛ فخدمت النبي ﷺ تسع سنين؛ فما قال لي لشيء فعلته لم فعلت كذا وكذا؟، وما قال لي لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا وكذا؟.

وروي عنه أيضا أنه قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما أمرني بأمر فتوانيت عنه أو ضيعته فلامني؛ فإن لامني أحد من أهل بيته إلا قال: «دعوه فلو قدر»، أو قال: «لو قضي أن يكون كان».

وقد كان ﷺ يمازح الأطفال ويداعبهم، روي عن أنس أنه قال: كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير، وكان النبي ﷺ يضاحكه، قال: فرأه حزينا على عصفور له مات؛ فقال: «يا أبا عمير ما فعل النغير؟»، وهذا الأسلوب من رسول الله ﷺ يزرع في نفس الطفل الأمن والطمأنينة وحب الاقتداء به ﷺ في تصرفاته جميعها.

إن الواجب على المربين اليوم أن يبذلوا جهدهم لتربية الأطفال والشباب عن طريق القدوة؛ فإن ضياع الجيل يتحمله المربون إذا ما فرطوا في واجبهم وكانوا قدوة سيئة للآخرين، ولنا في نبي الله شعيب -عليه السلام- القدوة الحسنة عندما قال لقومه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.



أخبار الجمعية

إحياء التراث تفتتح أنشطتها الصيفية في صباح السالم

بدأت جمعية إحياء التراث الإسلامي في صباح السالم أنشطتها الصيفية السنوية لهذا العام تحت شعار (صيفنا إبداع وتثقيف)، والتي سيتم من خلالها تنظيم العديد من الأنشطة والفعاليات الموجهة للطلبة من سن (٨ - ١٥) مثل: نشاط حفظ القرآن الكريم، والدروس الشرعية، فضلا عن الأنشطة الرياضية والرحلات الترفيهية.

وسيستمر هذه الأنشطة حتى يوم ٢٠١٩/٧/٢٢م، وستكون الدراسة فيها من يوم الأحد وحتى يوم الأربعاء من كل أسبوع من الساعة (٥ - ٨) مساء.

هذا وقد أهابت الجمعية بأولياء الأمور لتسجيل أبنائهم في هذه الأنشطة التي تقوم بها خلال العطلة الصيفية انطلاقا من دعمها لكل ما يخدم أفراد المجتمع؛ وذلك لما لهذه الأنشطة، من أهمية في تحفيظ كتاب الله -تعالى- وسنة نبيه -ﷺ-، وتنمية المواهب والقدرات، وإنقاذ الشباب في هذا السن من الانحرافات المختلفة كالتدخين والمخدرات ورفقة السوء، حيث لا صلاح ولا فلاح إلا بالرجوع إلى الله -تعالى- وحفظ كتابه. والجدير بالذكر أن فرع إحياء التراث في ضاحية صباح السالم من خلال اللجان التابعة له العديد من المشاريع الخيرية داخل الكويت وخارجها.



الخراز: ننتظر الحسابات الختامية للجمعيات والمخالفات محدودة

٥٠ مليون دينار حصيلة تبرعات رمضان

أعرب وزير الشؤون الاجتماعية سعد الخراز عن أمله في أن تتجاوز الحصيلة النهائية لتبرعات شهر رمضان الفائت نحو ٥٠ مليون دينار، موضحا أن بعض الجمعيات أوردت بياناتها ومازلنا بانتظار بقية البيانات من الجمعيات الأخرى.

وأوضح الخراز في تصريح له على هامش توقيعه مذكرة تفاهم في مجال شؤون المرأة مع جمهورية جيبوتي ممثلة بوزيرة المرأة والأسرة مؤمنة حسن أنه قبل بدء شهر رمضان، كونت الوزارة الفرق الخاصة بمتابعة مشاريع الجمعيات الخيرية خلال الشهر الفضيل بالتنسيق مع الجهات المعنية من وزارة الداخلية والبلدية وغيرها، بهدف ضبط مشروع جمع التبرعات وتنظيمه، مؤكدا تعاون الجمعيات.

وأضاف أن الفرق المختصة نفذت نحو ١٠٠٠ زيارة لمواقع جمع التبرعات ولم تسجل مخالفات جسيمة بل حالات محدودة، معبرا عن سرور الوزارة بتلك النتائج التي تدل على تعاون الجمعيات ولاسيما أن أي مخالفة أو شخص يجمع دون هوية، تتخذ الفرق بحقه الإجراء المعتاد.

على خط مواز، أكد وكيل وزارة التجارة والصناعة المساعد لشؤون الرقابة وحماية المستهلك عيد الرشيدي أن القطاع نفذ خلال شهر رمضان العديد من حملات التفتيش على أعداد كبيرة من المحلات فضلا عن ٦٦ جمعية تعاونية، واتخذ الاجراءات اللازمة تجاه المخالفين.

وقال الرشيدي: إن عدد المحاضر المسجلة بلغ ٣٤٧ محضراً؛ حيث تم الكشف على ١٢٢١ محلاً تجارياً و٧٠ بسطة خاصة بالخضراوات والفاكهة، اضافة إلى استقبال الشكاوى عن طريق مراكز الطوارئ مباشرة التي بلغت ١٥٩ شكوى، فضلا عن استقبال الخط الساخن ١٢٠٣ شكاوى واستفسارات، وتوجيه ٣٨ إنذارا للمحلات.

يصدره مطلع يوليو... و٥٥١٣ مستخدماً للخدمة و٢٠٣٧٥ عملية عبر الموقع

بيت الزكاة أنجز دليل زكاة الأسهم الإلكتروني

كشف بيت الزكاة عن الانتهاء من إصدار دليل زكاة الأسهم الإلكتروني، على أن يتم إصدار الدليل المطبوع مطلع يوليو المقبل، فضلا عن توفير خدمة احتساب زكاة الأسهم بنية الاستثمار عبر الموقع الإلكتروني.

أعلنت رئيسة قسم خدمة الشركات في إدارة تنمية الموارد ببيت الزكاة أبرار الياسين، أن البيت يتولى احتساب مقدار الزكاة المستحقة على الشركات والمؤسسات التجارية والجمعيات التعاونية.

وقالت الياسين في تصريح صحافي أمس، إن البيت يستقبل من لديه الرغبة في احتساب مقدار الزكاة المستحقة على الشركة، من خلال الحضور إلى مقر بيت الزكاة أو زيارة الشركة في مقرها أو إرسال التقرير المالي للجهة الطالبة باحتساب زكاتها.

وأضافت أن قسم خدمة الشركات في بيت الزكاة مؤهل علمياً وشرعياً فيما يتعلق باحتساب زكاة عروض التجارة (شركة - مؤسسة تجارية - جمعية تعاونية)، ويتولى القسم كذلك التواصل مع الشركات والمؤسسات والجمعيات التعاونية عن طريق الزيارات الميدانية للشركات والمؤسسات والجمعيات التعاونية وذلك بهدف توضيح رسالة البيت الإنسانية.

وذكرت أن قسم خدمة الشركات قام بالعديد من الإنجازات خلال السنة الحالية منها مخاطبة الشركات المدرجة في الأوراق المالية التي لديها هيئات شرعية لتزويدهم بقيمة زكاة سهم الشركة لإدراجه في دليل زكاة الأسهم الإلكتروني بموقع بيت الزكاة، وتمت تهيئة الموقع الالكتروني والأنظمة الآلية الداخلية وذلك بالتعاون مع مركز نظم المعلومات بالتعديلات اللازمة لإدراج زكاة الأسهم.

٥٥١٣ مستخدماً

وبينت أنه تم استخراج القوائم المالية للشركات المدرجة في سوق الأوراق المالية (البورصة) لدراستها وتحليلها واستخراج زكاة السهم للشركات التي ليس لديها هيئات شرعية، وتم إدراج زكاة سهمها في الموقع الإلكتروني تسهيلاً على المستثمرين في احتساب زكاة الأسهم.

ولفتت إلى أنه تم تحديث صفحة احتساب زكاة الأسهم بالموقع الإلكتروني لبيت الزكاة وإدراج دليل زكاة الأسهم الالكتروني بصيغة PDF تسهيلاً على



مستخدمي الموقع الحصول على نسخة مطبوعة من دليل زكاة الأسهم؛ حيث شملت الأدلة من سنة ٢٠١٠ حتى ٢٠١٨.

وقالت الياسين إن القسم استقبل نحو ٣٠ شركة وجمعية تعاونية ومؤسسة لاحتساب زكاتها خلال شهر رمضان، في حين تم تفعيل المكالمات الهاتفية الخاصة بخدمة احتساب زكاة الأسهم خلال الفترة الصباحية والفترة المسائية والتنسيق مع مكتب الشؤون الشرعية للرد على الاستفسارات الشرعية التي تتعلق بزكاة الشركات وزكاة الأسهم.

وأشارت إلى أن إجمالي الإيرادات المحصلة خلال شهر رمضان بلغت ٣١٢٥٩٩ ديناراً، وبلغ عدد مستخدمي خدمة احتساب زكاة الأسهم عبر الموقع الإلكتروني ٥٥١٣ مستخدماً في حين بلغت العمليات الحسابية من خلال الموقع الإلكتروني ٢٠٣٧٥ عملية، وبلغ عدد طالبي خدمة احتساب زكاة الأسهم من خلال خدمة الرد الهاتفي أو من خلال مراجعة المراكز الإيرادية المنتشرة في محافظات الكويت ٥٣٧ مراجعاً.

وبينت أنه تم الانتهاء من إصدار دليل زكاة الأسهم الإلكتروني، وسيتم إصدار الدليل المطبوع مطلع شهر يوليو ٢٠١٩، فضلا عن توفير خدمة احتساب زكاة الأسهم بنية الاستثمار عبر الموقع الإلكتروني.

بدء فعاليات الأنشطة الصيفية في مركز الشباب بإحياء التراث

يستقبل مركز الشباب التابع لجمعية إحياء التراث الإسلامي كعادته سنويا خلال صيف هذا العام الشباب من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية، وتنظيم العديد من الأنشطة لهم، التي ستستمر فعالياتها طوال العطلة الصيفية، فضلا عن تنظيم النادي الصيفي تحت شعار (المؤمن القوي)، الذي ستستمر فعالياته حتى يوم ٧/١١، والدراسة فيه من يوم الأحد إلى يوم الأربعاء، ويحتوي على العديد من الفعاليات والأنشطة مثل: تحفيظ القرآن الكريم، والدورات العلمية، والدروس الدينية، وغيرها من الأنشطة الثقافية والملتقيات التربوية، والرحلات العلمية والترفيهية، فضلا عن البرامج الرياضية.

والجدير بالذكر أن مركز الشباب في قرطبة يقوم بتنظيم أنشطة ثقافية عامة، وبرامج رياضية لفئات الطلبة المشاركين كافة، وتنظيم بعض الرحلات والمسابقات والمشاركة في أنشطة وأعمال العديد من اللجان والجهات الأخرى، وذلك فضلا عن التجديد والتطوير المستمر في أنشطته المختلفة الرياضية والثقافية والترفيهية، كما يقوم المركز سنويا بتنظيم المخيم الربيعي، الذي يشتمل على العديد من المسابقات الرياضية والثقافية، والعديد من المحاضرات.

شرح كتاب الجنائز من صحيح مسلم

باب: الأمر بتَسْوية القبور

كتب: الشيخ محمد الحمود النجدي

عَنْ أَبِي الْهَيّاجِ الْأَسَدِيّ قال: قال لي عَليُّ بْنُ أَبي طَالب -رضي الله عنه-: أَلا أَبْعثُكَ على ما بَعثَني عَليه رسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-؟ «أَنْ لا تَدعَ تِمْثَالًا إِلّا طَمَسْتَهُ؛ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلّا سَوَّيْتَهُ».

الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الجنائز (٢/٢٥٥)

وبوب عليه عليه النووي كتبويب المنذري

أَبو الْهَيّاج الْأَسَدِيّ هو: حيان بن الحصين الكوفي؛ تابعي ثقة.

قوله: «أَلا أَبعثُك عَلى ما بَعثَني عَليه رَسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-»، أي: أَلا أُرسلُك للأَمر الّذي أَرسَلني لَهَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-، وأَجعلُك أَميرًا على ذلكَ، كما أمّرني عليه رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-.

- قوله: «أنْ لا تَدَعَ» أمَرَ النّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- عليًا -رضي الله عنه-، بقوله: «أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلّا طَمَسْتَهُ» التمثال: الشيء المصور؛ والجمع تماثيل أي: صورَةً، والمُرادُ به صورَةٌ ذاتُ رُوح.

«إلّا طمستَه»، أيْ: مَحوْتَه وأَبطلتَه؛ بقَطعِ رَأسِه؛ وتَغيير وَجهه؛ ونَحو ذلك.

قال النووي: قوله: «أنْ لا تدع تمثالاً إلا طمسته» فيه الأمر بتغيير صور ذوات الأرواح. انتهى.

وقال في كلام له على التصوير: وأَجْمَعُوا على مَنْع ما كَان له ظِلّ، ووُجُوب تَغْييره. شرح مسلم.

والذي له ظل من الصُّور؛ هو الصور المجسّمة وهي التماثيل.

وجوب هدم الأصنام

● وقد دلت الأدلة الشرعية على وجوب هدم الأصنام، ومن ذلك: حديث الباب.

٢- ومنها: ما رواه مسلم (٨٣٢): عن عمرو بن عبسة أنه: قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: وبأي شيء أرْسلك؟ قال: «أرْسلني بصلةِ الأرْحام، وكَسْر الأوثان، وأنْ يوحّد الله لا يُشرك به شيء».

٣- ومنها: حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يا جرير ألا تريحني من ذي الخلصة؟ بيت لخثعم كان يدعى كعبة اليمانية؛ قال: فنفرت في خمسين ومائة فارس؛ وكنت لا أثبت على الخيل؛ فذكرت ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ فضرب يده في صدري فقال: «اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا» قال: فانطلقَ فحرّقها بالنار؛ ثم بعث جرير إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رجلاً يبشره يكنى أبا أرطاة منا؛ فأتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال له: ما جئتك حتى تركناها كأنها جَمَل أجرب؛ فبرك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على خيل أحمس ورجالها؛ خمس مرات». رواه البخاري (٣٠٢٠) ومسلم (٢٤٧٦).

قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث: مشرُوعيّة إزالَة ما يُفْتَتَن به النّاس منْ بناء وغيره، سَوَاء كَانَ إنْسَانًا أَمْ حَيوَانًا أم جَمَادًا اهـ.

٤- ومنها: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أرسل سرية من ثلاثين فارساً بقيادة خالد بن الوليد -رضي الله عنه- في سرية لهدم العزى، وهي من أعظم الأصنام عند قريش وبني كنانة، وذلك بعد فتح مكة المكرمة، لخمس ليالٍ بقين من شهر رمضان سنة ثمانٍ من الهجرة النبوية الشريفة.



البناء فوق القبر - سواء كان فوق القبر مباشرة أم كان حول القبر - أمرٌ محرّم منهي بنص الحديث؛ لأنه من تعظيمها

فعن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله -ﷺ- مكة، بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العُزى، فأتاها خالد وكانت على ثلاث سَمُرات - أي شجرات - فقطع السمرات، وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي -ﷺ- فأخبره؛ فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً». فرجع خالد فلما أبصرت به السدنة - وهم حجبتها- أمعنوا في الجبل، وهم يقولون: يا عُزى، فأتاها خالد فإذا هي امرأة عُريانة؛ ناشرة شعرها، تحثو التراب على رأسها، فعمّمها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى النبي -ﷺ- فأخبره، فقال: «تلك العُزى». رواه النسائي والبيهقي.

٥- وأرسل سعد بن زيد الأشهلي -رضي الله عنه- في سرية لهدم «مناة».

٦- وأرسل عمرو بن العاص -رضي الله عنه- في سرية لهدم «سواع». وذلك كله بعد فتح مكة. البداية والنهاية (٤/ ٧١٢، ٧٧٦).

شبهة وجوابها

● شبهة وجوابها: وأما ما يقال في ترك الصحابة -رضي الله عنهم- للأصنام في البلاد المفتوحة، الأصنام القديمة للفراعنة والآشوريين والفينيقيين؛ فهذا من الظنون والأوهام، بل من إساءة الظن بهم -رضي الله عنهم-؛ فما كان لأصحاب النبي -ﷺ- أنْ يدعوا الأصنام والأوثان، لاسيما مع كونها معبودة في ذلك الزمن!

فإن قيل: فلماذا تركها الصحابة الفاتحون إذاً؟

فالجواب: أن هذه الأصنام لا تخرج عن ثلاثة وجوه:

الأول: أن تكون تلك الأصنام في أماكن نائية؛ لم يصل إليها الصحابة، فإن فتح الصحابة لمصر مثلاً لا يعني وصولهم إلى كل أرض فيها.

الثاني: أن تكون تلك الأصنام غير ظاهرة، بل داخل منازل الفراعنة وغيرهم، وقد كان هدي النبي -ﷺ- الإسراع عند المرور على ديار الظلمة والمعذبين، بل جاء نهيه عن دخول تلك الأماكن.

ففي الصحيحين: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذّبين إلا أنْ تكونوا باكين، أن يصيبكم مثل ما أصابهم».

قال ذلك -ﷺ- عند مروره على أصحاب الحجر، من ديار ثمود قوم صالح -عليه السلام.

وفي رواية في الصحيحين أيضاً: «فإن لم تكونوا باكين؛ فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم مثل ما أصابهم».

الثالث: أنّ كثيراً من هذه الأصنام الظاهرة اليوم كان مغموراً مطموراً، أو اكتشف حديثاً، أو جيء به من أماكن نائية لم يصل إليها أصحاب النبي -ﷺ-.

فقد سئل الكاتب المؤرخ الزركلي: عن الأهرام وأبي الهول ونحوها: هل رآها الصحابة الذين دخلوا مصر؟ فقال: كان أكثرها مغموراً بالرمال، ولاسيما أبا الهول.

- قوله: «ولَا قَبْرًا مُشْرِفًا إلَّا سَوَّيْتَهُ» مُشرفا: أي مرتفعاً؛ عاليا على الأرض.

أي: ولا تترك قبرًا مُرتفعًا، والمُرادُ هو القَبرُ الّذي بُنيَ عليه حتّى يرتفِعَ دونَ الّذي أُعلِمَ عليه بالرّمل والحصا والحَجر ليُعرَفَ فَلا يُوطأ، «إلّا سَوّيته» أي: بما حولَه، أي: جَعلتَه مثلَ الّذي حَولَه، أو معنى سَوّيتَه، أي: جَعلتَه سويًّا، أي: مُوافقًا للشّريعة.

- قال النووي رحمه الله:» فيه: أَنّ السُّنَّةَ أَنّ الْقَبْرَ لَا يُرْفَعُ على الْأَرْض رَفْعًا كَثِيرًا، وَلَا يُسَنَّمُ؛ بَلْ يُرْفَعُ نحو شبْرٍ ويُسَطَّحُ، وهذا مَذهبُ الشّافعيّ ومَنْ وافَقَهُ، ونَقل القاضي عِيَاضٌ عن أَكْثَرِ الْعُلَمَاء: أَنّ الْأَفضلَ عندهم تَسْنِيمُهَا، وهو مَذْهَبُ مالك». شرح النووي على مسلم (٧/ ٣٦).

- وقال القاري -رحمه الله-: «قال العلماء: يُسْتَحَبُّ أَنْ يُرْفَعَ الْقَبْرُ قَدْرَ شِبْرٍ، ويُكْرَهُ فوق ذلك، ويُسْتحبُّ الهَدْمُ، وفي قَدْرِه خِلَافٌ، قيل: إلى الْأَرْض تَغْلِيظًا، وهذا أَقْرَبُ إلَى اللّفْظ، أَيْ: لَفْظ الحديث منَ التّسْوِيَة، وقال ابنُ الْهُمَام: هذا الحديثُ مَحْمُولٌ على مَا كانوا يَفْعَلُونَهُ مِنْ تَعْلِيَة الْقُبُور بالبناء العالي، وليسَ مُرَادُنَا ذلك بِتَسْنِيم القَبْر، بل بِقَدْرِ ما يَبْدُو منَ الْأَرْض، ويَتَمَيَّزُ عنها». (مرقاة المفاتيح) (٣/ ١٢١٦).

معنى تسوية القبر

قال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: «معنى سويته، يعني نقضته وهدمته حتى يستوي بالأرض، ما يبقى إلا علامة القبر قدر شبر ونحوه. هكذا شرع الله القبور: أن ترفع قدر شبر من الأرض، حتى يعرف أنها قبور، لا توطأ ولا تمتهن؛ ولا يبنى عليها». فتاوى نور على الدرب (٢/ ٣٦٩).

- وأما دعوى أنّ الأمر بتسوية القبور خاص بقبور اليهود والنصارى فدعوى باطلة، وذلك لما يلي:

أولا: أن الأمر في الحديث عام، والخصوصية تحتاج إلى دليل، ولا دليل على ذلك، وإنما الدليل على خلافه.

فقوله: «لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إلّا طَمَسْتَهُ، ولا قَبْرًا مُشْرِفًا إلّا سَوَّيْتَهُ»، نكرة في سياق النهي، فتعم كل قبر، لأن النكرة في سياق النفي أو النهي تعم، كقوله -تعالى-: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا × إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} الكهف: ٢٣- ٢٤، وقوله -تعالى-: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ} القصص: ٨٨، قال القرافي -رحمه الله-: «النّكِرَةَ في سِياقِ النّهْي، كَالنّكِرَة في سِياقِ النّفْيِ: تَعُمُّ». انتهى من (الفروق) (١/ ١٩١).

ثانيا: روى مسلم (٩٦٨) - قبل هذا الحديث مباشرة -، عن ثُمامة بن شُفَيٍّ قال: «كُنّا مع فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ بأَرْض الرُّوم برُودِسَ، فَتُوُفّيَ صاحبٌ لَنا، فأَمَرَ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ بقَبْره فَسُوّيَ، ثمّ قَال: سمعتُ رسولَ الله -ﷺ- يَأْمُرُ بتَسْوِيَتِهَا».

فهذا فعل صحابي، مرّ بقبر رجل من المسلمين لا من غيرهم، فعمل بمقتضى ما فهمه من أمر رسول الله -ﷺ- بتسوية القبور.

ثالثا: لو جاز القول بأن الأمر بتسوية القبور خاص بقبور اليهود والنصارى، لكان لقائل أن يقول: إن الأمر بطمس الصور والتماثيل خاص بهم أيضا؛ لأن الأمرين وردا في الحديث معا، وهو باطل، كما لا يخفى، ولم يقل به أحد من أهل العلم.

البناء فوق القبر

● والبناء فوق القبر - سواء كان فوق القبر مباشرة أم كان حول القبر - أمرٌ محرّم منهي بنص الحديث؛ لأنه من تعظيمها، وهو ذريعة إلى الشرك والفتنة بها.

ولا يُعرف عن النبي -ﷺ- أو عن أحد من أصحابه أنهم أمروا بالبناء على قبورهم، أو جعلها في أضرحة خاصة، أو بيوت تحيط بها، وإنما المعروف النهي عن ذلك وتجنبه، وهذه قبور الصحابة في البقيع إلى اليوم، وفي مقبرة أُحد وغيرها ظاهرة للناس، ليست مرفوعة، وليس على شيء منها بناء من ضريح أو غيره.

أهمية الإيمان بالقدر

د. عادل المطيرات

يقول الله -سبحانه-: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(القمر: ٤٩)، يخبر -سبحانه- بأنه خلق كل شيء: من العوالم العلوية والسفلية، خلقها بقضاء وقدر، سبق به علمه، وجرى به قلمه، بوقتها ومقدارها، وما اشتملت عليه من أوصاف، جاء في الصحيحين في حديث جبريل: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِه، وَلِقَائِه، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ».

من أصول الإيمان: الإيمانُ بالقدر خيره وشره، والقدرُ هو تقديرُ الله -تعالى- للكائنات حسبما سبق به علمُه، واقتضت حكمتُه، وهو سرُ الله في خلقه، والإيمانُ بالقدر يتضمنُ أربعةَ أمور:

الأول: الإيمانُ بأن الله -تعالى- علم كل شيء جملةً وتفصيلا، أزلا وأبدا، سواءٌ كان ذلك مما يتعلق بأفعاله -سبحانه- أم بأفعال عباده .

الثاني: الإيمانُ بأن الله -تعالى- كتب ذلك في اللوح المحفوظ، قال -سبحانه-: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾(الحج: ٧٠)، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» .

الثالث: الإيمانُ بأن الكائنات لا تكونُ إلا بمشيئة الله، سواءٌ كانت مما يتعلقُ بفعله، أم مما يتعلقُ بفعل المخلوقين، قال -سبحانه- فيما يتعلقُ بفعله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾(القصص: ٦٨)، وقال -سبحانه-: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾(إبراهيم: ٢٧)، وقال -عز وجل- فيما يتعلقُ بفعل المخلوقين: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾(الأنعام: ١١٢).

الرابع: الإيمان بأن الكائنات مخلوقةٌ لله -تعالى- بذواتها وصفاتها وحركاتها، قال -تعالى-: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(الزمر: ٦٢)، وقال -سبحانه-: (﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(الصافات: ٩٦).

هذه هي مراتبُ القدر الأربعة، والإيمانُ بها لا ينافي أن تكون للإنسان مشيئةٌ وقدرةٌ في أفعاله الاختيارية؛ فقد قال -سبحانه- في المشيئة: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾(النبأ: ٣٩)، وقال في القدرة: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾(التغابن: ١٦).

كلَ إنسان له مشيئة

والواقعُ يشهد بهذا؛ فإن كلَ إنسان يعلم أن له مشيئةً وقدرةً يفعلُ بها ويترك، كالمشي والقيام والقعود، والأكلِ والشرب، لكنَّ مشيئةَ الإنسان وقدرتَه واقعتان تحت مشيئة الخالق -سبحانه-، قال -تعالى-: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(التكوير: ٢٨-٢٩).

ستةُ مشاهد

وقد يجري على الانسان مقدورٌ يكرهه، كفقد عزيز، أو مرض، أو خسارةٍ في تجارة، أو مشكلةٍ عائلية، أو مشكلةٍ في الوظيفة؛ فله فيه ستةُ مشاهد:

الأول: مشهد التوحيد: وأن الله هو الذي قدره وشاءه وخلقه، وما شاء اللهُ كان وما لم يشأ لم يكن.

الثاني: مشهد العدل: وأنه ماضٍ فيه حكمُه، عدلٌ فيه قضاؤه .

الثالث: مشهد الرحمة: وأن رحمتَه في هذا المقدور غالبةٌ لغضبه وانتقامه.

الرابع: مشهد الحكمة: وأن حكمتَه -سبحانه- اقتضت ذلك، لم يقدره سدى ولا قضاه عبثا .

الخامس: مشهد الحمد: وأن له -سبحانه- الحمدُ التامُ على ذلك من وجوهه جميعها.

السادس: مشهد العبودية: وأنه عبدٌ محضٌ من كل وجه، تجرى عليه أحكامُ سيده وأقضيتُه بحكم كونه ملكَه وعبدَه؛ فيصرفه تحت أحكامه القدرية، كما يصرفه تحت أحكامه الدينية؛ فهو محلٌ لجريان هذه الأحكام عليه .



شبهةٌ مشهورة

وهنا شبهةٌ مشهورة يتمسك بها من ضَعُف إيمانُه بالله وبقضائه وقدره، واستولى عليه الشيطان، وهي الاحتجاجُ بالقدر على فعل المعاصي؛ فيفعل المعصيةَ متعمدا ثم يقول: فعلتُها بقدر الله، والله قدر علي هذه المعصية! والرد على هذه الشبهة يكون من وجوه عدة:

أولا: أن الله -تعالى- أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، وبينوا للناس الحقَ والباطل لكي لا يكون للناس حجةٌ على الله ، كما قال -تعالى-: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(النساء: ١٦٥).

ثانيا: جاء في الصحيحين عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ فِي جَنَازَةٍ؛ فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ»؛ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾(الليل: ٥-١٠).

ثالثا: أن الله -تعالى- أمر عبدَه ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦)، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، ولو كان الإنسانُ مجبرا على المعصية لكان مكلفا بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا مما لم يأمر به الله -سبحانه .

رابعا: أن قدرَ الله سرٌ مكتوم لا يعلم به إلا الله -سبحانه-، ولا يعلم به أحدٌ إلا بعد وقوعه؛ فكيف يدعي العاصي أن اللهَ كتب عليه المعصية، ولم يُسئ الظنّ بربه -سبحانه؟!

خامسا: أننا نرى الإنسانَ في الواقع يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه حتى يدركه، ولا يعدل عنه ويتركه ويقول: هذا قدر؛ فلماذا يعدل عما ينفعه من أمور دينه إلى ما يضره من المعاصي ثم يقول: هذا قدر؟!

وبالمثال يتضح المقال، لو كان هناك طريقان، أحدهما آمن والآخر غير آمن؛ فماذا يختار العاقل؟ هل يختار الطريقَ غيرَ الآمن ثم يقول: هذا قدر؟! لا شك بأنه سيختار الطريق الآمن . ومثال آخر: المريضُ يؤمر بالشراب فيشربه ونفسُه لا تشتهيه، وينهى عن طعام معين ونفسُه تشتهيه، لماذا لا يدعُ الطعام والشراب والدواء ويقول: هذا قدر؟!

ومثال آخر: لو اعتدى عليك شخصٌ فأخذ مالَك وحرمتَك، ثم قال: لا تلمني فإنما اعتديت عليك بقدر الله، فهل تقبلُ حجتَه؟!

قدر الله سرّ مكتوم لايعلمه إلا الله - سبحانه وتعالى-، ولايعلم به أحد إلا بعد وقوعه

الاحتجاج بالقدر على المعصية

تبين مما سبق أن الاحتجاج بالقدر على المعصية من وساوس الشيطان وكيده لابن آدم؛ فإن الله -تعالى- بيَّن لك طريق الخير والشر ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾(البلد: ١٠)، وأعطاك القدرة والمشيئة على الاختيار ، وبين لك أن طريق الخير يهدي إلى الجنة ، وطريق الشر يهدي إلى النار؛ فاختر ما تشاء ولا تلومن إلا نفسك؛ ولذلك يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رُفع إليه سارق فأمر بقطع يده؛ فقال : مهلا يا أمير المؤمنين؛ فإنما سرقتُ بقدر الله؛ فقال له عمر: ونحن إنما نقطعُ يدك بقدر الله!

ثمراتٌ عظيمة

وإن للإيمان بقدر الله ثمرات عظيمة، منها: الاعتمادُ على الله -سبحانه- في فعل الأسباب؛ بحيث لا يعتمدُ الإنسانُ على السبب نفسه، بل يعتمدُ على مسبب السبب وهو اللهُ -سبحانه-؛ ولذلك تجد الإنسانَ يفعل سببا يسيرا مع قوة إيمانه وتوكله على الله -تعالى-؛ فيحصلُ له من التوفيق والتيسير ما لم يكن يتوقعه، وانظر إلى مريم -رضي الله عنها- وهي في حالة الولادة في شدة ضعفها، ماذا قال الله لها: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾(مريم: ٢٥)، بذلت السببَ فهزت النخلة وهي امرأة ضعيفة، مع قوة إيمانها وصحة توكلها على ربها -سبحانه-؛ فجاء الفرج من الله -تعالى.

الاحتجاج بالقدر على المعصية من وساوس الشيطان وكيده لابن آدم

ومنها: ألا يعجبَ الإنسانُ بنفسه عند حصول مراده؛ لأن حصولَه على مراده نعمةٌ من الله -تعالى-، وفضلٌ ومنةٌ منه، أما إذا أُعجب بنفسه ونسي فضلَ الله عليه؛ فإن اللهَ يُنسيه هذه النعمة.

ومنها: الطمأنينةُ والراحةُ النفسيةُ بما يجري على الإنسان من أقدار الله، قال -سبحانه-: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ، لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾(الحديد: ٢٢-٢٣)، وفي صحيح مسلم عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ =، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

لا يدفع المرءُ ما يأتي به القدر
وفي الخطوب إذا فكرت معتبر
فليس يُنجي من الأقدار إن نزلت
رأيٌ وحزم ولا خوفٌ ولا حذر
فاستعمل الصبرَ في كل الأمور ولا
تجزع لشيء فعقبى صبرك الظفر
كم مسّنا عسرٌ فصرفه إلا
له عنا و ولّى بعده يسرُ
لا ييأس المرءُ من رَوح الإله
فما ييأس منه إلا عصبةٌ كفروا
إني لأعلم أن الدهرَ ذو دول
وأن يوميه ذا أمن و ذا خطر

الرضا بقضاء الله وقدره

والمؤمنُ دائما يرضى بقضاء الله وقدره؛ فلا يتسخطُ ولا يعترض، ويعلمُ علمَ اليقين بأن ما يصيبُه من الأقدار؛ فهو خير وإن كان ظاهرُه شر ومكروه؛ فإن الله -تعالى- لا يقدرُ لعبده إلا الخير، ويظهر ذلك جليا عند المصائب؛ فانظر في نفسك عند المصيبة والمشكلة، هل تصبر وترضى بقضاء الله وقدره؟ وتقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها؟ أم تجزع وتعترض على قضاء الله وقدره؟

واصبر على القدر المحتوم وارضَ به
وإن أتاك بما لا تشتهي القدرُ
فما صفا لامرئ عيشٌ يُسرُ به
إلا سيَتبعُ يوما صفوَه كدرُ

ما الهم الذي تحمله؟

الشيخ: رائد الحزيمي

كلنا يحمل هموما كثيرة، ما ينفك الإنسان عنها، هذه الهموم بعضها دنيوي، وبعضها أخروي؛ فمن الهموم الدنيوية وما أكثرها!: همّ الدراسة، الرزق والوظيفة، وحاجات الأسرة، وأعطال السيارة، ومشكلات الأبناء، وأخبار الفريق الكروي. ومن الهموم الأخروية: أحوال المسلمين، وعذاب القبر، وأهوال القيامة، المصير إلى الجنة أو إلى النار، تربية الأبناء، وكيفية القيام بحقوق الوالدين، هم الدَين وسداده للخلوص من حقوق العباد. والسؤال الذي يطرح نفسه كيف نتخلص من هذه الهموم؟

هناك وعد جميل من النبيﷺ؛ فعن الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْﷺ، يَقُولُ: «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ الْمَعَادِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ».

من هنا ينبغي على المسلم أن يعطي كلاً من الدنيا والآخرة قدرها؛ فيتخفف من شواغل الدنيا وهمومها، ويجعل همّه وشغله في مسائل الآخرة، وهذا ما أرشدنا إليه النبيﷺ بقوله: «من جعل الهموم همّاً واحداً»، وفي رواية: «من كان همه الآخرة، جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته الدنيا، فرّق الله عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له»(أحمد ح٢١٠٨٠)، وفي رواية: «من جعل الهموم هماً واحداً هم آخرته كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبالِ الله في أي أوديتها هلك»(ابن ماجه ح٢٥٧)، وعن الحسن قال: «فمن تكن الآخرة همه وبثه وسدمه يكفي الله ضيعته، ويجعل غناه في قلبه، ومن تكن الدنيا همه وبثه وسدمه يفشي الله عليه ضيعته ويجعل فقره بين عينيه، ثم لا يصبح إلا فقيرًا، ولا يمسي إلا فقيرًا»(الدارمي ح٣٣١).

لذلك لابد أن يكون السؤال الذي يطرحه الإنسان دائمًا على نفسه: ما الهم الأول الذي يسيطر على حياتي؟ هل هذا الهم من هموم الدنيا؟ أم من هموم الآخرة؟ حاول أن تكتب الهموم التي تهمك في ورقة، وانظر أهمها لديك، وأكثرها شغلاً لبالك، ثم انظر كم من هذه الهموم للدنيا وكم منها للآخرة، قال علي بن أبي طالب: «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون؛ فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل»(رواه البخاري في باب الأمل وطوله).

ومن أراد أن يعرف الهم الأكبر الذي يشغله؛ فلينظر في أحواله: ما الذي يفكر فيه قبل نومه أو في صلاته؟ ما الذي يفرحه ويحزنه؟ وما الذي يغضبه؟ ما أمنياته؟ وبماذا يدعو الله في سجوده؟ وما الذي يراه في منامه وأحلامه؟ ما الأمر الذي يؤثر تأثيراً مباشراً في قراراته، كاختيار الزوجة ومكان السكن، هل هو الجمال وإيجار الشقة؟ أم الدين والجوار من المسجد؟ وهكذا.

إن التبصر في ذلك كله يدلك على الهم الأول أو الأكبر في حياتك؛ فتعرف حينذاك أنك ممن أهمته دنياه أو أخراه.

ويأتي السؤال هنا، كيف أجعل كل هذه الهموم همًا واحدًا وهو هم الآخرة؟

الآخرة طريقها عبادة الله -سبحانه وتعالى- بأنواع العبادات القلبية، واللسانية، والجوارح، كل هذه العبادات هي طريق الآخرة كيف اجعلها هماً واحداً؟ فعلى سبيل المثال نحن في رمضان الآن، أولى الهموم التي يجب أن تشغلنا هي: كيف نحقق العبودية الكاملة لله -تبارك وتعالى- حتى نخرج من رمضان وقد غفر الله لنا؟؛ فتجد الإنسان الحريص على رضا الله -تعالى- مشغولا دائمًا بهذا الهدف؛ فتجده حريصا على أداء الصلوات الخمس في المسجد، وتجده حريصا على قيام الليل، وتجده حريصا على قراءة القرآن الكريم، وتجده حريصا على الصدقة، وكذلك حريصا على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان إلى غير ذلك من الأعمال الصالحة.

ينبغي على المسلم أن يعطي كلًّا من الدنيا والآخرة قدرها؛ فيتخفف من شواغل الدنيا وهمومها، ويجعل همّه وشغله في مسائل الآخرة



خطاب الله لأنبيائه في القرآن (٤)

بقلم: د. أميــر الحــداد (*)

www.prof-alhadad.com

هذا القرآن نذارة للخلق كلهم، ولكن إنما ينتفع به ﴿الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم﴾؛ فهم متيقنون للانتقال من هذه الدار إلى دار القرار؛ فلذلك يستصحبون ما ينفعهم ويدعون ما يضرهم: ﴿ليس لهم من دونه﴾، أي: لا من دون الله: ﴿ولي ولا شفيع﴾، أي: من يتولي أمرهم فيحصل لهم المطلوب، ويدفع عنهم المحذور، ولا من يشفع لهم؛ لأن الخلق كلهم ليس لهم من الأمر شيء: ﴿لعلهم يتقون﴾ الله، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن الإنذار موجب لذلك، وسبب من أسبابه.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ أي: لا تطرد عنك، وعن مجالستك، أهل العبادة والإخلاص، رغبة في مجالسة غيرهم، فأهل العبادة من الملازمين لدعاء ربهم، دعاء العبادة بالذكر والصلاة ونحوها، ودعاء المسألة في أول النهار وآخره، وهم قاصدون بذلك وجه الله، وليس لهم من الأغراض سوى ذلك الغرض الجليل، فهؤلاء ليسوا مستحقين للطرد والإعراض عنهم، بل مستحقون لموالاتهم ومحبتهم وإدنائهم وتقريبهم؛ لأنهم الصفوة من الخلق وإن كانوا فقراء، والأعزاء في الحقيقة وإن كانوا عند الناس أذلاء.

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: كل له حسابه، وله عمله الحسن، وعمله القبيح. ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وقد امتثل -ﷺ- هذا الأمر، أشد امتثال، فكان إذا جلس الفقراء من المؤمنين صبَّر نفسه عليهم، وأحسن معاملتهم، وألان لهم جانبه، وحسَّن خلقه، وقربهم منه، بل كانوا هم أكثر أهل مجلسه -رضي الله عنهم-. وكان سبب نزول هذه الآيات أن أناسا من قريش، أو من أجلاف العرب قالوا للنبي -ﷺ-: إن أردت أن نؤمن لك ونتبعك، فاطرد فلانا وفلانا، أناسا من فقراء الصحابة، فإنا نستحيي أن ترانا العرب جالسين مع هؤلاء الفقراء، فحمله حبه لإسلامهم، واتباعهم له، فحدثته نفسه بذلك. فعاتبه الله بهذه الآية ونحوها.

(*) أستاذ في جامعة الكويت



الفِرَارُ إِلى الله

الشيخ: عبد الرزاق عبد المحسن البدر

عبوديةٌ عظيم شأنها، جليلٌ أمرها، كبيرٌ خطبها، جديرٌ بكل مسلم أن تعظم عنايته بها، ففيها بَرُّ الأمان، وسبيل النجاة، وتحقق السعادة في الدنيا والآخرة؛ إنها عبودية الفرار إلى الله -جل في علاه-، كما قال الله -تبارك وتعالى- في سورة الذاريات: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠)﴾، ما أعظم شأن هذه العبودية، وما أعظم عوائدها وفوائدها على الفارين إلى الله؟

والناس في هذا الباب على قسمين: سعداء وأشقياء؛ فأما السعداء فهم الفارون إلى الله، طالبون بفرارهم إليه سعادتهم وفوزهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة. وأما الأشقياء فهم الفارون من الله لا إلى الله، وهذا سبيل شقاء وهلاك في الدنيا والآخرة.

الفرار إلى الله -جل وعلا- يحتاج إلى مهروب منه وإلى مهروب إليه، وفي الآية ذكر للمهروب إليه -جل في علاه- ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾، ولم يُذكر فيها المهروب منه؛ وذلك ليتناول كل قاطع وعائق وحائل بين العبد وبين الفرار إلى الله والوصول إلى رضاه -جل في علاه.

متطلبات الفرار إلى الله

الفرار إلى الله -عز وجل- يتطلب من الفار إلى الله أمورًا ثلاثة؛ يحققها علما وعملا:

معرفة من يفر إليه

الأمر الأول: معرفة من يفر إليه؛ وهو الله العظيم -جل في علاه- معرفةً بأسمائه وصفاته، وعظمته، وجلاله، وكماله، وعظيم اقتداره -جل في علاه-، وشدة بطشه وانتقامه -سبحانه وتعالى-، وكلما عظُمت معرفة العبد بالله ازداد فراره إليه -جل في علاه-، قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر:٢٨)؛ فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف ولعبادته أطلب وعن معصيته أبعد.

معرفة الطريق التي يسلكها

والأمر الثاني: معرفة الطريق التي يسلكها الفار إلى الله -جل وعلا-؛ وهي

عبودية الفرار إلى الله عظيم شأنها، جليل أمرها، كبير خطرها.. جدير بكل مسلم أن تعظم عنايته بها

مما يعين على تحقيق هذه العبودية معرفة مآلات ماتوصل إليه وهو الفوز بجنة الله ورضوانه- جل وعلا

الفرار إلى الله -عز وجل- أمْرٌ يتجدد مع المؤمن بتجدد الليالي والأيام؛ فإن الفتن تلاحقه، والصوارف والصواد تطارده، والشيطان من جهته قاعد له بالمرصاد

على المؤمن صادق الإيمان أن يحسن الفرار إلى الله الرحمن، طالبًا بفراره أن يخرج من هذه الحياة الدنيا وقد نجا من سخط الله -عز وجل-، وفاز برضوانه -جل في علاه

لزوم طاعته -سبحانه-؛ ولهذا جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في معنى قوله -تعالى- ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ قال: «فروا من الله إلى الله بلزوم طاعته»، فالطريق التي يسلكها الفار إلى الله أن يلزم صراط الله المستقيم، وألا يحيد عنه ولا ينحرف بل يمضي على استقامة الصراط والطريق الموصل إلى الله -جل وعلا- بفعل الأوامر واجتناب المناهي طلبًا لرضا الله -عز وجل- وحرصًا على الظفر بعظيم موعوده جل في علاه.

معرفة مآل الطريق

والأمر الثالث: معرفة مآل هذه الطريق وما توصل إليه، وهو الفوز بجنة الله ورضوانه -جل في علاه-؛ فالفرار إلى الله -عز وجل- نجاةٌ من السخط وفوزٌ بالرضوان. الفارون إلى الله -عز وجل- هم الذين يُزحزحون يوم القيامة عن النار ويُدخلون الجنة دار الأبرار ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران:١٨٥).

وقد جُمعت هذه الأمور الثلاثة في قول الله جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (الإسراء:١٩).

طاعة الله -عز وجل

وجاء الأمر في هذه الآية بطاعة الله -عز وجل- ولزوم عبادته بهذه الصيغة﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾؛ تنبيهًا للعباد إلى أن الأمر إذا لم يكن فيه فرار إلى الله فإن المرء على خطر عظيم وهلاك متحتِّم، وهو مقامٌ يتطلب من العبد عدم التواني والتقاعس والتكاسل والتباطؤ، بل هو يتطلب مسارعةً، ﴿فَفِرُّوا﴾ أي مسرعين إلى الله -عز وجل-، وقد قال الله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (آل عمران:١٣٣)، وقال: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (الحديد:٢١)؛ فالمقام لا يحتمل التواني والتباطؤ والتسويف وإنما يتطلب مسارعةً كما هو واضح في قوله: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾.

ما يعين على الفرار

ومن أعظم ما يعين على هذا الفرار إلى الله -عز وجل-: أن تتأمل الآيات التي تسبق هذه الآية في سورة الذاريات؛ حيث ذكر -جل وعلا- قبلها ما أحلَّه بالفارين من الله من أنواع المثلات وصنوف العقوبات، وما ذكره قبلها أيضا من آياته العظيمة ومخلوقاته الجسيمة الدالة على عظمته وكمال اقتداره؛ فختمها بقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾.

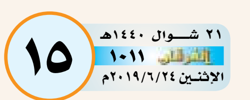
أمْرٌ يتجدد

إنَّ الفرار إلى الله -عز وجل- أمْرٌ يتجدد مع المؤمن بتجدد الليالي والأيام؛ فإن الفتن تلاحقه، والصوارف والصواد تطارده، والشيطان من جهته قاعد له بالمرصاد، وهناك نفس أمارة بالسوء، وهناك أبوابٌ على كل باب منها شيطان يدعو إليه؛ فالمقام مقامٌ عظيم جدا يحتاج من العبد المؤمن صادق الإيمان أن يحسن الفرار إلى الله الرحمن، طالبًا بفراره إلى الله -عز وجل- أن يخرج من هذه الحياة الدنيا وقد نجا من سخط الله -عز وجل-، وفاز برضوانه -جل في علاه.

تجددٌ في الإيمان

هذا التجدد في الفرار إلى الله -عز وجل- هو تجددٌ في الإيمان وحسن الصلة بالله -جل في علاه-، وتأملوا في هذا المقام «مقام الفرار إلى الله -عز وجل-» هذا الحديث العظيم العجيب وهو في الصحيحين؛ عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ وَقُلِ: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلَامِكَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مُتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ».

وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الدعاء العظيم «لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ»؛ لتعلم يقينًا يتكرر معك هذا العلم كل ليلة عندما تؤوي إلى فراشك مجدِّدًا بذلك إيمانك ألا مفرَّ لك من الله إلا إلى الله، فإن كل شيء تخافه تفر منه إلا الله -عز شأنه وجلَّ أمره سبحانه-؛ فإن من عظُم خوفه من الله فر إلى الله -عز وجل-، لأنه لا ملجأ من الله إلا إليه.



حسن الخاتمة

كتب: د. وليد بن إدريس المنيسي

عن أبي هريرة وسهل بن سعد -رضي الله عنهما- أن النبيﷺ قال: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب؛ فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار؛ فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها». رواه البخاري ومسلم.

في هذا الحديث الشريف بشارة وتخويف، بشارة لمن تاب وأصلح عمله قبل الموت بأنه إذا ختم له بعمل أهل الجنة كان من أهلها، وتخويف للمؤمن الطائع من أن يزل ويعمل بعمل أهل النار فيدخلها -والعياذ بالله.

والناس في خاتمتهم أقسام:

من كان مؤمنًا صالحًا

١- أشرفها من كان في حياته مؤمنًا صالحًا؛ فلما قرب أجله ازداد اجتهادًا في العبادة؛ فمات على أكمل أحواله، وعلى رأس هؤلاء رسول اللهﷺ؛ فإنه لما قرب أجله اعتكف في رمضان عشرين يومًا، وكان قبل ذلك يعتكف في كل عام عشرة أيام، وختم القرآن على جبريل مرتين في رمضان، وكان يختمه عليه قبل ذلك مرة، وحج حجة الوداع، وكان يقول: «ما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي».

من كان كافرًا أو فاسقًا

٢- من كان في حياته كافرًا، أو فاسقًا؛ فلما قرب أجله، أسلم وتاب واستقام وحسن عمله؛ فمات على ذلك، كالرجل الذي قتل مائة نفس ثم تاب، وذهب إلى قرية فيها صالحون ليعبد الله معهم؛ فمات في الطريق؛ فقبضته ملائكة الرحمة، والحديث في الصحيحين عن أبي سعيدرضي الله عنه.

من ازداد كفرًا أوفسقًا

٣- من كان في حياته كافرًا، أو فاسقًا؛ فازداد قبل حلول أجله فسقًا وكفرًا؛ فمات على أسوأ أحواله.

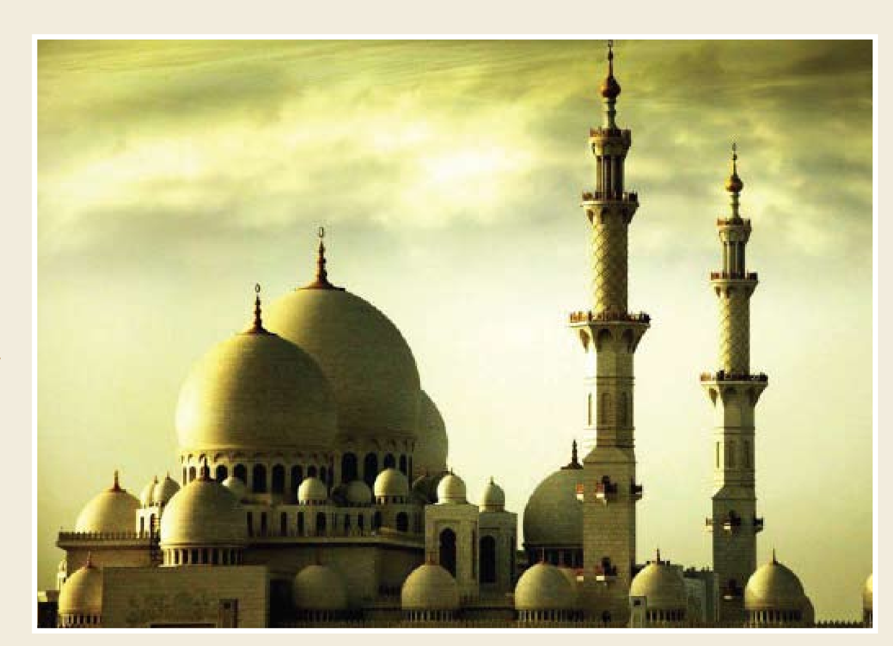
من كان مؤمنًا ثم كفر

٤- من كان في حياته مؤمنًا ثم كفر أو صالحًا ثم فسق -والعياذ بالله تعالى-؛ فمات على ذلك؛ فهذا أعظمهم حسرة وندامة، وهذه التي خافها الصالحون. قال سفيان الثوري -رحمه الله-: الذنوب أهون عليّ من هذه -وأشار إلى تبنة كانت في يده- وإنما أخاف من سوء الخاتمة، قال -تعالى-: {وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (البقرة:٢١٧).

في الحديث بشارة

ولكن في الحديث بشارة -بإذن الله- لمن عمل بعمل أهل الجنة مخلصًا إذا بدا للناس وإذا خلا بنفسه؛ لأن النبيﷺ بين أن الذين يختم لهم بالسوء وكانوا يعملون عمل أهل الجنة، إنما كانوا يعملون به فيما يبدو للناس، عن عمرو بن الحَمِقرضي الله عنه قال: «إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله»، قيل: كيف يستعمله؟ قال: «يفتح له عملاً صالحًا بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله». رواه أحمد والحاكم وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠١)، وعن عائشة -رضي الله عنها- عن النبيﷺ: «إن الله -تعالى- إذا أراد بعبد خيرًا قيض له قبل موته بعام ملكًا؛

من كان في حياته مؤمناً صالحاً وازداد اجتهاداً في العبادة عند قرب أجله مات على أكمل أحواله وأحسنها وأسعدها



من كان في حياته كافرًا أو فاسقًا فازداد قبل حلول أجله فسقًا وكفرًا مات على أسوأ أحواله

لحسن الخاتمة علامات، كل واحدة منها كافية في الاستبشار: النطق بالشهادة عند الموت لقول نبينا: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»

فيوفقه ويسدده حتى يقال: مات بخير ما كان يعمل، وإذا أراد الله بعبد سوءًا قيّض له قبل موته بعام شيطانًا فأضله وفتنه حتى يقال: مات بشر ما كان يعمل» رواه عبد بن حميد في مسنده.

علامات حسن الخاتمة

ولحسن الخاتمة علامات، كل واحدة منها كافية -بإذن الله- في الاستبشار بحسن الخاتمة من غير جزم بذلك: النطق بالشهادة عند الموت لقوله: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». رواه الحاكم، وأن يرشح جبينه بالعرق لقوله: «موت المؤمن بعرق الجبين». رواه أحمد والترمذي عن بريدةرضي الله عنه، أن يموت يوم الجمعة، أو ليلتها وهو مسلم، لقوله : «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر».

وأن يموت شهيدًا في سبيل الله، أو وهو مرابط في سبيل الله، أو يموت بإحدى الميتات التي صاحبها في درجة الشهيد، وهي: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والحريق، والموت بذات الجنب، والمرأة يقتلها ولدها أي: تموت وهي حامل، أو بسبب الوضع.

وأن يختم له بعمل صالح كصيام يوم أو صدقة أو ذكر، عن جابررضي الله عنه قال : «من مات على شيء بعثه الله عليه» رواه أحمد والحاكم وهو في صحيح الجامع (٦٤١٩).

حكايات كثيرة

وقد حكى الإمام ابن القيم والحافظ الذهبي -رحمهما الله- حكايات كثيرة عن أقوام عجزوا عن قول: «لا إله إلا الله» عند موتهم، واستبدلوها بما كانوا متعلقين به في الدنيا من حرام أو مباح؛

فرجل كان يلعب الشطرنج قيل له: قل: لا إله إلا الله؛ فقال: شاه رخ، ومات. ورجل كان يشرب الخمر، قال: اشرب واسقني، ثم مات.

كيد الشيطان

وذلك لأن الشيطان يحشد للإنسان كل همته وقوته لإضلاله في هذه اللحظة، والإنسان يكون في أضعف أحواله، قال -تعالى-: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيَواةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاء}(إبراهيم:٢٧).

بشارة الملائكة

وأما العلامة التي يعلم بها الميت نفسه حسن خاتمته؛ فهي أن تبشره ملائكة الرحمة برضوان الله -تعالى-؛ فيفرح ويستبشر، قال -تعالى-: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَئكَةُ أَلاَّ تَخَافُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ} (فصلت:٣٠).

وهذه العلامة هي التي في صحيح مسلم عن شريح بن هانئ عن أبي هريرةرضي الله عنه عن النبيصلى الله عليه وسلم قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، قال شريح: فأتيت عائشة -رضي الله عنها- فقلت: يا أم المؤمنين، سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله حديثًا، إن كان كذلك فقد هلكنا، فقالت -رضي الله عنها-: ليس منا أحد إلا وهو يكره الموت، قد قاله رسول الله، وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر، وحشرج الصدر، واقشعرّ الجلد، وتشنّجت الأصابع؛ فعند ذلك من أحبّ لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. رواه مسلم (٢٦٨٥). قال النووي -رحمه الله-: وهي الحال التي لا تقبل فيها التوبة".

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها،وخير أيامنا يوم لقائك يا كريم.

أهمية أصول الفقه في تقرير مسائل الاعتقاد

دلالات الألفاظ نموذجًا

الحضرمي أحمد طلبة (١)

إن تحديد منهجية الاستدلال يعدُّ من أهم الوسائل لإنتاج المعرفة اليقينية الصحيحة، كما أن ضبط هذه المنهجية وبناءِ مرجعية موحَّدة لها يجعلها ذاتية، ويحافظ على خصوصيتها في التصورات والأفكار، ويضع حدًّا للتأويلات الممكنة للنصوص الشرعية محل التطبيق أو الإشكال.

ولا شكَّ أنَّ أيَّ فكر له مبادئ ومنطلقات لا يمكن أن يكون فكرًا حتى يمتلك القدرة العلمية والعقلية الكافيتين لتحديد مبادئه ومنطلقاته؛ لينتقل من الهلامية والسيولة إلى الوضوح والتأسيس، ومن هنا تظهر أهمية أصول الفقه بوصفها أداة لضبط الاستنباط وحصر الأقوال التي يمكن القول بها في تفسير الوحي، كما تظهر أهميته في توفيره للآليات العلمية المنضبطة، التي يمكن من خلال إعمالها أن يدرك المختص الحصيف خطأ أيّ مجتهد، وذلك من خلال محاكمته إلى هذا العلم الجليل، وفحص مدى تمسكه بقواعده وضوابطه؛ لأن علم أصول الفقه علم متعال على الأشخاص، يحاكمون إليه ولا يحاكم إليهم، ويمكن دخول الخطأ على الخائض في علم الشريعة من نواح متعددة:

الدليل

الناحية الأولى: الدليل، فالخائض في فهم النص يعرض له الخطأ في الدليل من جهة اعتقاد ثبوته؛ فيكون غير ثابت كما هو الشأن في الحديث الضعيف الواهي الذي لا يتقوَّى بغيره والحديث المتروك والموضوع، ويقع الخطأ له أيضا في نفي الدليل واعتقاد عدم ثبوته والأمر بخلافه، والتمسك بما يقابل من أصل كالعموم والحقيقة وغيرهما في باب الظاهر، أو الاستصحاب الأصلي عند انعدام الدليل مطلقا.

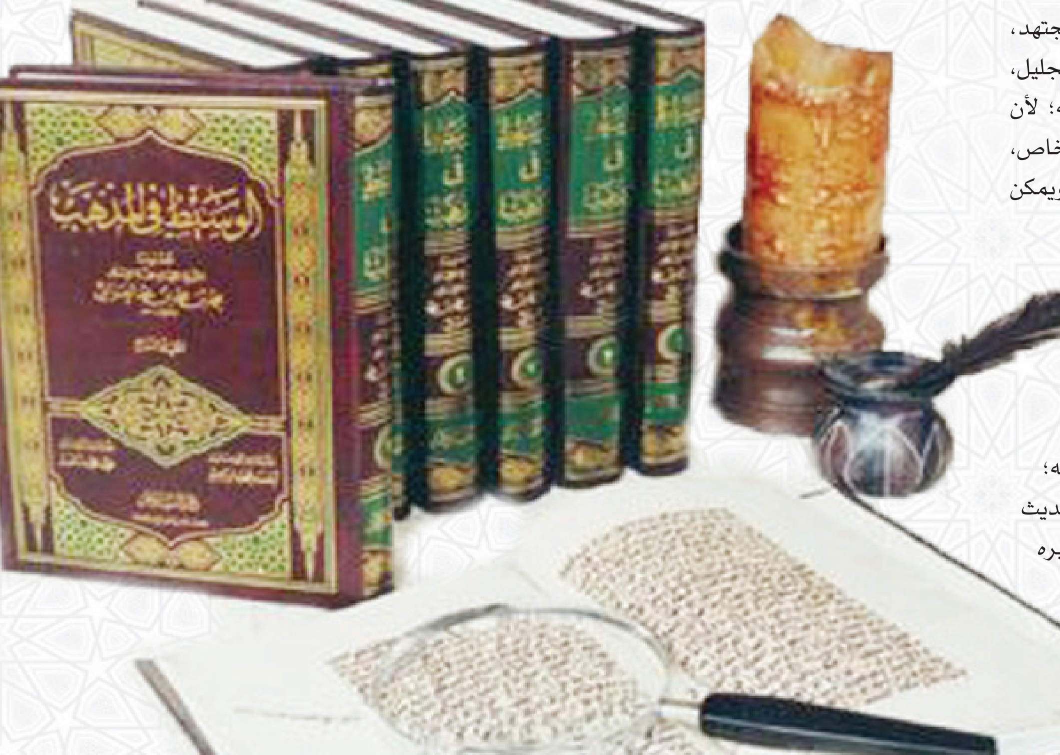
الاستدلال

الناحية الثانية: الاستدلال، فقد يقع الإنسان في الخطأ في الشرع لا من ناحية تمسكه بالدليل، وإنما من جهة إعماله له إعمالا خطأ، فيردّ عليه ويبطل قوله.

ترتيب الدليل

الناحية الثالثة: الخطأ في ترتيب الدليل، فيقدِّم من الأدلة ما حقُّه التأخير شرعًا، فيوقعه ذلك في فوضى منهجية، وقد يتفرع على هذا مسائل كثيرة تؤدي إلى الابتداع.

ونظرًا لأن الأخطاء الواقعة للناس في التعامل مع



أيُّ فكر له مبادئ ومنطلقات لا يمكن أن يكون فكرًا حتى يمتلك القدرة العلمية والعقلية الكافيتين لتحديد مبادئه ومنطلقاته

أصول الفقه هي التي تبنى عليها الشريعة؛ فهي قطعية بقطعيتها؛ لأن الأصل لا يكون أصلا حتى تشهد له كليات الشريعة

الشرع لا تخرج عن هذه النواحي؛ فإنها ليست مخصوصة بباب دون باب؛ فقد تشمل مسائل الاعتقاد كما تشمل المسائل العملية، ومن هنا تدعو الحاجة إلى التنبيه على أهمية هذا العلم عمومًا، وفي ضبط مسائل الاعتقاد خصوصًا، وهذا ما سوف نتناوله في هذه الورقة العلمية بشيء من التفصيل -إن شاء الله.

أهمية أصول الفقه

أصول الفقه هي التي تبنى عليها الشريعة؛ فهي قطعية بقطعيتها؛ لأن الأصل لا يكون أصلا حتى تشهد له كليات الشريعة، وما كان كذلك فهو قطعي، وقطعيتها من كونها إما راجعة إلى أصول عقلية قطعية، وإما إلى الاستقراء الكلي للشريعة وهو قطعي أيضا، ولا يضر تخلف الجزئي أحيانا.

فحاصل الأمر أن تخلُّف الجزئي من الكلي لا ينقض قطعيته في الشرعيات ولا في العاديات ولا في العقليات؛ لأن الكلي الغالب منزَّل منزلة المقطوع به، وقد فصل الشاطبي -رحمه الله- هذا الأمر تفصيلا؛ فقال: إن المقدمات المستعملة في هذا العلم والأدلة المعتمدة فيه لا تكون إلا قطعية؛ لأنها لو كانت ظنية لم تفد القطع في المطالب المختصة به، وهذا بيِّن، وهي:

- إما عقلية، كالراجعة إلى أحكام العقل الثلاثة: الوجوب، والجواز، والاستحالة.
- وإما عادية، وهي تتصرف ذلك التصرف أيضا؛ إذ من العادي ما هو واجب في العادة أو جائز أو مستحيل.
- وإما سمعية، وجلها المستفاد من الأخبار المتواترة في اللفظ، بشرط أن تكون قطعية الدلالة، أو من الأخبار المتواترة في المعنى، أو المستفاد من الاستقراء في موارد الشريعة.

الأحكام المتصرفة

فإذًا الأحكام المتصرفة في هذا العلم لا تعدو الثلاثة: الوجوب، والجواز، والاستحالة، ويلحق بها الوقوع أو عدم الوقوع؛ فأما كون الشيء حجة أو ليس بحجة؛ فراجع إلى وقوعه، أو عدم وقوعه كذلك، وكونه صحيحًا أو غير صحيح راجع إلى الثلاثة الأول، وأما كونه فرضًا أو مندوبًا أو مباحًا أو مكروهًا أو حرامًا فلا مدخل له في مسائل الأصول؛ من حيث هي أصول؛ فمن أدخلها فيها فمن باب خلط بعض العلوم ببعض.

ولذا تجد العلماء يؤكدون على أهمية أصول الفقه ومعرفة مباحثه عمومًا، وأنه لا يحق لباحث في الشرع أو متصدِّر للفتيا أن يكون جاهلًا بأصول الفقه، يقول الشافعي -رحمه الله-: «لا يحلّ لأحد أن يفتي في دين اللَّه إلا رجلًا عارفًا بكتاب اللَّه، بناسخه ومنسوخه، وبمُحكَمه ومُتَشَابهه، وتأويله وتنزيله، ومكّيّه ومَدنيّه، وما أُريد به، وفيما أُنزل، ثم يكون بعد ذلك بَصيرًا بحديث رسول اللَّهﷺ، وبالناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيرًا باللغة، بصيرًا بالشعر وما يحتاج إليه للسنة والقرآن، ويستعمل هذا مع الإنصاف، وقلة الكلام، ويكون بعد هذا مُشْرِفًا على اختلاف أهل الأمصار، وتكون له قريحةٌ بعد هذا؛ فإذا كان هذا هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتي».

أهميته في الاجتهاد

يقول السبكي مبينا أهميته في الاجتهاد وضرورته: وكل العلماء في حضيض عنه، أي: الاجتهاد، إلا من تغلغل بأصل الفقه، وكَرَعَ من مناهله الصافية بكل الموارد، وسَبَحَ في بحره، وتروى من زلاله، وبات يعل به وظرفه ساهد.

وهذا الشاطبي -رحمه الله- بعد أن قرر أهمية أصول الفقه وميزته العلمية في علوم المسلمين ختم حديثه بقوله: فإذا تقرَّر هذا فلا يؤخذ (العلم) إلا ممن تحقق به، وهذا أيضا واضح في نفسه، وهو أيضا متفق عليه بين العقلاء؛ إذ من شروطهم في العالم بأي علم اتفق أن يكون عارفا بأصوله، وما ينبني عليه ذلك العلم، قادرا على التعبير عن مقصوده فيه، عارفا بما يلزم عنه، قائمًا على دفع الشبه الواردة عليه فيه.

فإذا تبين للقارئ الكريم أهمية علم أصول الفقه في الاستدلال بقي لنا أن نأخذ له مباحث منه، يعرف بها الحق من الباطل، ويعرف كيف يدير العلماء خلافاتهم من خلالها، وهي مباحث الألفاظ والدلالات؛ فإن المجتهد والمتدبر للقرآن الكريم لا يهتدي سبيلا فيه ما لم يكن له علم ومعرفة بمباحث الألفاظ والدلالات حتى يتسنى له معرفة مراد الله -عز وجل- ومراد رسولهﷺ، وسوف نبين أهمية معرفة الألفاظ والدلالات.

أهمية معرفة الألفاظ والدلالات

القرآن نزل بلسان عربي مبين؛ ففيه ما في اللسان العربي من الأساليب ولو لم يستوعبها لعلوه عن بعضها، لكن كل ما يعد من قبيل الفصاحة والتفنن في المعاني؛ فإن القرآن قد أتى بالمنتهى فيه، وكذلك رسول اللهﷺ؛ فإنه أوتي جوامع الكلم، وتكلَّم بما عهدته العرب من كلامها على مستوى الأساليب، وإن جهل بعض المستمعين بعض مفرداته كما هو الحال في لفظ الرويبضة والهرج وغيرها من الألفاظ التي استشكلها الصحابة، واستشكال المفرد لا ينفي أنَّ التركيب معهود عند المتكلِّم وإن استوحش بعض العبارات، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى معرفة الألفاظ في القرآن ودلالتها.

تكلمت به العرب

فالقرآن تكلَّم بما تكلَّمت به العرب، وجرى على أساليبها في الخطاب، وذلك أن العرب قد تتكلَّم بالشيء؛ فلا يكون على ظاهره؛ فلابد له من تقدير، إما عقلي أو شرعي، مثل قوله سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ (المائدة: ٣)؛ فلابد في كل هذا من تقدير يدل عليه السياق، ففي هذا يكون التقدير: حرم عليكم أكل الميتة.

الأخذ بالمفهوم

كما أن في القرآن الأخذ بالمفهوم، سواء كان مفهوم موافقة أم مفهوم مخالفة، ويمكن تعطيل مفهوم المخالفة من كونه خرج مخرج الغالب أو سيق للامتنان، وغير ذلك مما هو مبثوث في كتب أصول الفقه، وأصل كلام ابن عاصم هو نثرُ نَثْره الشاطبي في الموافقات حيث قال: للغة العربية، من حيث هي ألفاظ دالة على معان نظران:

أحدهما: من جهة كونها ألفاظا وعبارات مطلقة دالة على معان مطلقة، وهي الدلالة الأصلية.

والثاني: من جهة كونها ألفاظا وعبارات مقيدة دالة على معان خادمة، وهي الدلالة التابعة.

الجهة الأولى

هي التي تيشترك فيها الألسنة جميعها، وإليها تنتهي مقاصد المتكلمين، ولا تختص بأمة دون أخرى؛ فإنه إذا حصل في الوجود فعل لزيد مثلا كالقيام، ثم أراد كل صاحب لسان الإخبار عن زيد بالقيام، تأتى له ما أراد من غير كلفة، ومن هذه الجهة يمكن في لسان العرب الإخبار عن أقوال الأولين -ممن ليسوا من أهل اللغة العربية- وحكاية كلامهم، ويتأتى في لسان العجم حكاية أقوال العرب والإخبار عنها، وهذا لا إشكال فيه.

الجهة الثانية

فهي التي يختص بها لسان العرب في تلك الحكاية وذلك الإخبار؛ فإن كل خبر يقتضي في هذه الجهة أمورا خادمة؛ لذلك الإخبار، بحسب الخبر والمخبر والمخبر عنه والمخبر به، والأخبار نفسها في الحال والمساق، ونوع الأسلوب: من الإيضاح، والإخفاء، والإيجاز، والإطناب، وغير ذلك.

العلماء يؤكدون على أهمية أصول الفقه ومعرفة مباحثه عمومًا، وأنه لا يحق لباحث في الشرع أو متصدِّر للفتيا أن يكون جاهلًا بأصول الفقه

وذلك أنك تقول في ابتداء الإخبار: (قام زيد) إن لم تكن ثم عناية بالمخبر عنه، بل بالخبر؛ فإن كانت العناية بالمخبر عنه قلت: (زيد قام)، وفي جواب السؤال أو ما هو منزل تلك المنزلة: (إنَّ زيدا قام)، وفي جواب المنكر لقيامه: (والله، إن زيدا قام)، وفي إخبار من يتوقع قيامه أو الإخبار بقيامه: (قد قام زيد)، أو: (زيد قد قام)، وفي (التنكيت) على من ينكر: (إنما قام زيد).

ثم يتنوع أيضا بحسب تعظيمه أو تحقيره -أعني: المخبر عنه-، وبحسب الكناية عنه والتصريح به، وبحسب ما يقصد في مساق الإخبار، وما يعطيه مقتضى الحال، إلى غير ذلك من الأمور التي لا يمكن حصرها، وجميع ذلك دائر حول الإخبار بالقيام عن زيد.

فمثل هذه التصرفات التي يختلف معنى الكلام الواحد بحسبها ليست هي المقصود الأصلي، ولكنها من مكملاته ومتمِّماته، وبطول الباع في هذا النوع يحسن مساق الكلام إذا لم يكن فيه منكر، وبهذا النوع الثاني اختلفت العبارات وكثير من أقاصيص القرآن؛ لأنه يأتي مساق القصة في بعض السور على وجه، وفي بعضها على وجه آخر، وفي ثالث على وجه ثالث، وهكذا ما تقرَّر فيه من الإخبارات لا بحسب النوع الأول، إلا إذا سكت عن بعض التفاصيل في بعض، ونص عليه في بعض، وذلك أيضا لوجه اقتضاه الحال والوقت.

مراعاة هذا المعنى

فلزم مراعاة هذا المعنى في فهم الشريعة عموما؛ ولذا عد العلماء من المزالق تجاوز هذا المعنى والعدول عنه إلى غيره؛ فمن رام فهم كلام الله بالعدول بالألفاظ عن مساقاتها المفهومة من التركيب؛ فإنه يكون قد عدل بالقرآن عن معناه الأصلي إلى معان لا يعطيها هو من عند نفسه، وقد نبه الإمام الشافعي -رحمه الله- إلى أهمية معرفة الألفاظ وأساليبها في فهم الوحي؛ حيث يقول: «لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها»، وقال أيضًا: «فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله»، وقال ابن تيمية: «فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه».

وضع الكلمة اللغوي

وها هنا مسألة هي من متممات هذا الباب، وهي: معرفة وضع الكلمة اللغوي؛ إذ القرآن قد يستخدم اللفظ على أصله، وقد يستخدمه في بعض مجازاته، وقد يجعل له وضعًا خاصًا؛ فتكون له حقيقة أخرى كما هو شأن الحقائق الشرعية عند من لا يراها مجازًا، وهنا يلزم على الإنسان أن يعد ألفاظ الشارع، ويقف عندها، ويعلم أن بيان الشارع مقدَّم على كل بيان، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: والاسم إذا بين النبيﷺ حدَّ مسماه لم يلزم أن يكون قد نقله عن اللغة أو زاد فيه، بل المقصود أنه عرف مراده بتعريفه هوﷺ كيفما كان الأمر؛ فإن هذا هو المقصود، وهذا كاسم الخمر؛ فإنه قد بين أن كل مسكر خمر؛ فعرف المراد بالقرآن، وسواء كانت العرب قبل ذلك تطلق لفظ الخمر على كل مسكر أو تخص به عصير العنب، لا يحتاج إلى ذلك؛ إذ المطلوب معرفة ما أراد الله ورسوله بهذا الاسم، وهذا قد عرف ببيان الرسولﷺ، وبأن الخمر في لغة المخاطبين بالقرآن كانت تتناول نبيذ التمر وغيره، ولم يكن عندهم بالمدينة خمر غيرها، وإذا كان الأمر كذلك؛ فما أطلقه الله من الأسماء وعلق به الأحكام من الأمر والنهي والتحليل والتحريم، لم يكن لأحد أن يقيِّده إلا بدلالة من الله ورسوله.

أبرز الطعون المعاصرة في الجامع الصحيح للبخاري

كتب: د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز العقل (4)

الشبهة السادسة: أن الجامع الصحيح فيه عدد من الأحاديث المعلقة، والمعلق من قسم الأحاديث المردودة:

ويمكن الجواب عن هذا بما يلي:

أولاً: أن الأحاديث المعلقة ليست مردودة على الإطلاق؛ فمنها المقبول، ومنها المردود، والحكم في ذلك راجع إلى الإسناد، هل هو متصل أم لا؟ فإذا كان إسناد الحديث المعلق متصلا؛ فهو مقبول صحيح، وإذا كان منقطعًا؛ فهو مردود ضعيف، وسيأتي توضيح ذلك، والتفصيل فيه.

ثانيًا: أن الأحاديث المعلقة في الجامع الصحيح ليست كلها مرفوعةً إلى النبي ﷺ؛ فهناك نسبة كبيرة منها هي آثار موقوفة على الصحابة والتابعين، أدخلها البخاري في الجامع فقهًا منه، للاستفادة من أقوالهم والاستئناس بها، ومن المعلوم أن شرط الإمام البخاري في جامعه يتعلق بالأحاديث المرفوعة المسندة لا بالآثار الموقوفة، ويؤيد ذلك اسم كتابه (الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله - ﷺ - وسنَنِه وأيامه)، وأكد ذلك ابن حجر بقوله: «المقصود من هذا التصنيف بالذات هو الأحاديث الصحيحة المسندة، وهي التي ترجم لها، والمذكور بالعرض والتبع: الآثار الموقوفة، والأحاديث المعلقة، نعم والآيات المكرمة؛ فجميع ذلك مترجم به، إلا أنها إذا عدت بعضها مع بعض، وعدت أيضا بالنسبة إلى الحديث؛ يكون بعضها مع بعض، منها مفسِّر، ومنها مفسَّر؛ فيكون بعضها كالمترجم له باعتبار، ولكن المقصود بالذات هو الأصل»، ولو أسند الإمام البخاري هذه الآثار المعلقة في جامعه؛ لخرج بذلك عن شرطه؛ ولهذا علقها مع كونها صحيحة حتى يخل بشرطه.

ثالثًا: أن عددًا من الأحاديث المعلقة في الجامع الصحيح جاءت موصولة في الكتاب نفسه؛ فمن عادة الإمام البخاري أنه يعلق الحديث في موضع ويصله في موضع آخر طلبًا للاختصار، وعدم التكرار، وفي هذا يذكر ابن حجر: «أنه يُورده معلّقا؛ حيث يضيق مخرج الحديث؛ إذ من قاعدته أنه يكرر إلا الفائدة؛ فمتى ضاق المخرج واشتمل المتن على أحكام؛ فاحتاج إلى تكريره؛ فإنه يتصرف في الإسناد بالاختصار خشية التطويل».

وقال أيضا: «وربما ضاق عليه مخرج الحديث؛ حيث لا يكون له إلا طريق واحدة؛ فيتصرف حينئذ فيه؛ فيورده في موضع موصولا وفي موضع معلّقا».

رابعا: أن الأحاديث المعلقة التي لم توصل داخل الصحيح، على نوعين:

النوع الأول: ما أورده البخاري بصيغة الجزم، وهذا الغالب الأعم فيه أحاديثُه صحيحة، وسبب تعليق هذا النوع من الأحاديث يبينه لنا ابن حجر بقوله: «السبب في كونه لم يوصل إسناده، إما لكونه أخرج ما يقوم مقامه؛ فاستغنى عن إيراد هذا مستوفى السياق، ولم يهمله، بل أورده بصيغة التعليق طلبًا للاختصار، وإما لكونه لم يحصل عنده مسموعا، أو سمعه وشك في سماعه له من شيخه، أو سمعه من شيخه مذاكرة فما رأى أنه يسوقه مساق الأصل، وغالب هذا فيما أورده عن مشايخه».

النوع الثاني: ما أورده البخاري بصيغة التمريض، وفيه الصحيح على شرط غيره، وفيه الحسن، وفيه الضعيف المنجبِر، وفيه الضعيف الذي ينجبر، وهو قليل جدا، بل نادر، وهذا الأخير يبين ضعفه الإمام البخاري نفسه.

خامسًا: أن المعلقات في الجامع الصحيح للبخاري، قد وصلها الحافظ ابن حجر في كتاب أسماه (تغليق التعليق)، وبين أن هذه المعلقات موصولة في كتب السنة الأخرى سوى الجامع الصحيح.

سادسا: لو سلمنا جدلا أن الأحاديث المعلقة في الجامع الصحيح كلها ضعيفة؛ فإن ذلك لا يمنع الوثوق بالجامع الصحيح، ويقلل من شأنه، وذلك لأمور منها:

أولها: أن أغلب هذه المعلقات في تراجم الأبواب، لا في أصل الكتاب ومتنه.

ثانيها: أن نسبة الأحاديث المعلقة إلى الأحاديث الموصولة لا تكاد تذكر.

ثالثها: أن أكثر هذه المعلقات خارج شرط البخاري في صحيحه؛ فلا تحسب عليه؛ لأنه كما سبق، غالبها آثار موقوفة على صحابة وتابعين، وليست مسندة كما شرط البخاري.



الفتوى الشرعية

إخبار بالحكم الشرعي المجمع عليه مع التبيين والإيضاح

د. أحمد بن مبارك المزروعي (٢)

نستكمل ما بدأناه في المقال السابق في الحديث عن الإفتاء والواقع المؤلم؛ حيث ذكرنا أن التجرؤ على الفتوى له أخطار كبيرة، و يترتب عليه آثام عظيمة، ومفاسد جسيمة، ولقد كان الصحابة -رضي الله عنهم- يتدافعون الفتوى كما قال ابن أبي ليلى -رحمه الله-: «أدركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله -ﷺ- يُسأل أحدهم عن المسألة، فيردّها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول، وما منهم من أحد يحدث بحديث، أو يسأل عن شيء، إلا ودّ أخاه كفاه».

التنبيه الخامس

من تسرع وتساهل في الفتوى لم يجَزْ أن يُستفتى، من نظر في بعض مفتي الإعلام المتصدرين من أهل الفوضى، يجد عندهم تسرعاً وتساهلاً في الفتوى، ولهفًا لسماع السؤال، وتعطشاً لاستقبال المستفتين، على خلاف ما كان عليه أهل العلم الأولون.

قال ابن الصلاح الشهرزوري -رحمه الله-: «لا يجوز للمفتي أن يتساهل في الفتوى، ومن عرف بذلك لم يجز أن يستفتى، وذلك قد يكون بألا يتثبت ويسرع بالفتوى قبل استيفاء حقّها من النّظر والفكر، وربما يحمله على ذلك توهمه أن الإسراع براعة والإبطاء عجز ومنقصة، وذلك جهل، ولئن يبطئ ولا يخطئ أكمل به من أن يعجل فيُضل ويَضل... وقد يكون تساهله وانحلاله بأن تحمله الأغراض الفاسدة على تتبع الحيل المحظورة أو المكروهة والتمسك بالشبه طلباً للترخيص على من يروم نفعه، أو التغليظ على من يريد ضرّه ومن فعل ذلك فقد هان عليه دينه، ونسأل الله -تعالى- العافية والعفو».

التريث في المسألة

وقد كان علماء المسلمين يتريثون في المسألة أيما تريث، لا سيّما المعضلة منها فعن سُحنون أن رجلًا أتاه فسأله عن مسألة فأقام يتردد إليه ثلاثة أيام: «مسألتي أصلحك الله اليوم» ثلاثة أيام. فقال له: «وما أصنع لك يا خليلي، مسألتك معضلة، وفيها أقاويل وأنا متحيّر في ذلك» فقال له: «وأنت أصلحك الله لكل معضلة» فقال له سحنون: «هيهات يا ابن أخي ليس بقولك هذا أبذل لك لحمي ودمي إلى النار، ما أكثر ما لا أعرف، إن صبرت رجوت أن تنقلب بمسألتك، وإن أردت أن تمضي إلى غيري فامض، تجاب في ساعة» فقال له: «إنما جئت إليك ولا أستفتي غيرك» فقال له: «فاصبر عافاك الله ثم أجابه بعد ذلك».

واقع الإفتاء الإعلامي

أين هذه التؤدة والتأني من بعض واقع الإفتاء الإعلامي اليوم، فإن بعضهم يبادر بالجواب قبل تتمة السؤال أو قبل فهمه،أو يناقش السائل ولمّا يكمل كلامه ويطرح قضيته، فسرعان ما يقع في الوهم والخطأ، ويكثر عنه ذلك، حتى تكون صفة ملازمة لكل حلقة يخرج فيها ولكل مقطع ينشره، وهو مع هذا فرح فخور معجب بنفسه مغرور.

التنبيه السادس

المفتي لا يرخص للناس فيما حرم الله، ولا يقنّط من -رحمة الله-؛ قال علي -رضي الله عنه-: «ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه؟ الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يرخص للمرء في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة إلى غيره إنه لا خير في عبادة لا علم

كان علماء المسلمين يتريثون في المسألة أيما تريث، لا سيّما المعضلة منها

من الآداب المهمّة على المفتي أن يبيّن جوابه بياناً مزيلاً للإشكال، وإذا كان في المسألة تفصيل فمن الخطأ أن يطلق الجواب دون تفصيل

فيها، ولا خير في علم لا فقه فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر معها». تأمل صفة هذا الفقيه، وقارن به حال بعض أهل الفوضى اليوم؛ فهم بين متساهل في فتواه، يفتي بما يطلبه المشاهدون متذرعاً بقاعدة اليسر والتسهيل في الدين، وبين متشدد في فتواه يقنط الناس من رحمة الله.

التنبيه السابع

على المفتي ألا يُدخل المستفتي في الأمور الغامضة والإشكالات؛ من الآداب المهمّة على المفتي أن يبيّن جوابه بياناً مزيلاً للإشكال، وإذا كان في المسألة تفصيل فمن الخطأ أن يطلق الجواب دون تفصيل، وكذلك على المفتي ألا يطيل الإجابة حتى لا يستشكل السائل ولا تشتبه عليه الإجابة، قال ابن حمدان -رحمه الله-: «وعلى المفتي أن يختصر جوابه، فيكتفي فيه بأنه: يجوز أو لا يجوز، أو حقّ أو باطل، ولا يعدل إلى الإطالة والاحتجاج ليفرّق بين الفتيا والتصنيف، ولو ساغ التجاوز إلى قليل لساغ إلى كثير، ولصار المفتي مدرسًا، ولكل مقام مقال».

الاختصار في الفتوى

وقد ذكر أبو القاسم الصّيمري عن القاضي أبي حامد المروروذي: «أنه كان يختصر في فتواه غاية ما يمكنه واستفتي في مسألة قيل في آخرها: أيجوز ذلك أم لا؟ فكانت فتواه: لا، وبالله التوفيق»، وهذا الاختصار مقيد بألا يكون فيه إخلال بالحكم والبيان.

ذكر الأدلة

وحتى لا يوقع المستفتي في الإشكال والاشتباه فإن العلماء نصّوا على أن المفتي لا يذكر للمستفتي من الأدلة إلا ما كان نصاً واضحاً، أما الأقيسة وطرائق الاجتهاد وأوجه الاستدلال فلم تَجْر العادة بذكرها.

استدلالات واهية

ومن تأمل هذا التنبيه وقارن به بعض الإفتاء الإعلامي وجده على الصورة التي حذر منها العلماء؛ فبعضهم يدخل السائل في قياسات عقلية ضعيفة، وفي استدلالات واهية هزيلة، لا يُستفاد منها إلا وقوع السائل والسامع في الإشكالات، أو خدمتها لمصلحة المفتي الإعلامي ومنهجه الذي يريد أن يروج له عبر الشاشات.

التنبيه الثامن

خطر إيثار الدنيا على فتوى المفتي؛ إن خطر إيثار الدنيا على فتوى المفتي كبير، ولابدّ على من آثرها أن يقول على الله بلا علم وقد نبّه ابن القيم -رحمه الله- على هذا الداء الخطير فقال: «كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبّها، فلا بدّ أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه، وفي خبره وإلزامه؛ لأن أحكام الرب -سبحانه- كثيرًا ما تأتي على خلاف أغراض الناس ولا سيما أهل الرئاسة، الذين يتبعون الشهوات فإنهم لا تتمّ لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحقّ ودفعه كثيرًا؛ فإذا كان العالم والحاكم محبّين للرئاسة، متبعين للشهوات، لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضادّه من الحقّ، ولا سيّما إذا قامت له شبهة، فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى، فيخفى الصواب، وينطمس وجه الحق، وإن كان الحق ظاهرًا لا خفاء فيه ولا شبهة، أقدم على مخالفته وقال: لي مخرج من التوبة. وفي هؤلاء وأشباههم قال -تعالى-: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾. وقال -تعالى- فيهم أيضاً: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٌ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾، فأخبر -سبحانه- أنهم أخذوا العرَض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم وقالوا سيغفر لنا، وإن عُرض لهم عرَض آخر أخذوه فهم مصرّون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق، فيقولون هذا حكمه وشرعه ودينه وهم يعلمون أن حكمه وشرعه ودينه خلاف ذلك، أو لا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه، فتارة يقولون على الله ما لا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه، وأما الذين يتقون فيعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا، فلا يحملهم حبّ الرئاسة والشهوة على أن يؤثروا الدنيا على الآخرة، وطريق ذلك أن يتمسكوا بالكتاب والسنة، ويستعينوا بالصبر والصلاة، ويتفكروا في الدنيا وزوالها وخستها، والآخرة وإقبالها ودوامها، وهؤلاء لا بد أن يبتدعوا في الدين مع الفجور في العمل فيجتمع لهم الأمران؛ فإن اتباع الهوى يُعمي عين القلب، فلا يميّز بين السنة والبدعة، أو ينكسه فيرى البدعة سنة، والسنة بدعة».

هذا هو الواقع المؤلم في بعض الإفتاء الإعلامي اليوم؛ فإن بعض المفتين لا يخرج على التلفاز إلا لغرض دنيوي من طلب شهرة، وحب سمعة، واشتراط نقود حالّة ومؤجلة، وإذا جلس أمام الشاشات ظن أنه جلس على كرسي الملك فتراه منتفخاً متعاظماً يطمس الحق الذي ضدّه، ويرفع الشبه التي تخدمه بأدلة عقلية سقام، رافعاً صوته على الأنام، متشدقاً في الكلام، بلا أدب ولا احترام.

التنبيه التاسع

الحذر من فتنة الإصابة في الإجابة؛ إن أجاب المفتي فأصاب، فليحمد الله على توفيقه، ولا يعجب بنفسه ويفتخر بها؛ فإن للإصابة فتنة أشدّ من فتنة المال، قيل لسحنون بن سعيد: «إنك لتسأل عن المسألة لو سئل عنها أحد من أصحابك لأجاب فتتوقف فيها. فقال -رحمه الله-: «إن فتنة الجواب بالصواب أشدّ من فتنة المال».

فتأمل هذه الفتنة، وانظر كم مفتوناً قد فُتن بها يظن أنه حاز السبق والشرف بإصابته! بل يظن أنه العالِم الفريد الفذّ في زمانه، ولم يعلم أنه وقع في شراك هواه ونفسه، ولو كان عاقلاً لشكر الله وهضم نفسه، ونسب الفضل لأهله، لكنه جحده واتبع هواه، هذا فيمن كان مصيباً في فتواه، فكيف بمن كانت فتواه على جهل وهوى وفلسفة ليست من الهُدى وهو يظن أنه مصيب للحق والهُدى؟!

ليحذر كل مسلم

هذه جملة من التنبيهات أرجو أن تكون مرشدة مبصرة للمسلم، مفرقة له بين أهل الفتوى وأهل الفوضى، وليحذر كل مسلم على نفسه من هذه السنوات الخداعات، ومن تصدّر كلّ رويبضة عبر الشاشات فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ» قِيلَ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ قَالَ: «السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ».

ذم الانقياد للهوى في منهج الإصلاح

د. عبد الرحمن سلمان الحمادي

إنّ منهجَ الإصلاح الحقّ منهجٌ نبويٌ ربّانيٌ؛ لا ينبغي لمن سلكه أن يحيد عنه انقيادًا لهوى في نفسه والعياذ بالله وإلا صار إفساده أعظم مما يرجو من إصلاح. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات أو المستحبّات لا بُدّ أن تكون المصلحةُ فيها راجحة على المفسدة؛ إذ بهذا بُعثت الرُسُل، ونَزَلت الكُتُب. واللهُ لا يحبُ الفَسَاد، بل كلُ ما أمَرَ الله به هو صلاح. وقد أثنى الله على الصلاحِ والمصلحين، والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذمّ الفساد والمفسدين في غير موضع. فحيث كانت مفسدةُ الأمر والنهي أعظم من مصلحته، لم يكن مما أمر الله به، وإنْ كان قد تُرك واجبٌ وفُعِل مُحرّم؛ إذ المؤمنُ عليه أن يتقي الله في عباد الله، وليس عليه هُداهم..».

فعلى المُصلح أن يتجرد لا لنفسه ولا لهواه ولا لحزب ينتمي إليه؛ وإنما عليه أن يتجرد في عملية إصلاحه لله -عزّوجلّ-؛ فيلتزم بالانقياد لنصوص الشرع، فمن التزم بذلك كان مُصْلحًا، وإن لم يلتزم؛ فقدّم ما تمليه عليه نفسه وهواه وانتماءاته الحزبية كان ما يفسده أكثر مما يصلحه.

الإصلاح المشروع

التزامٌ بما يمليه الشرع مع التجرد عن الهوى، وإنّ مما يُؤسف عليه اليوم أن تجد من ينتسب لمنهج الإصلاح - بزعمه -؛ وهو في طريقته يحيد عنه بسبب الهوى - علم أو لم يعلم - وترك ما يقوم عليه المنهج الصحيح من وجوب إخلاص النية مع تمام الانقياد للأوامر الربّانيّة والتوجيهات النبويّة في طريقة الإصلاح. قال ابن تيمية -رحمه الله-: "فإنّ من الناس من يكون حبُّه وبغضُه وإرادتُه وكراهتُه بحسب محبّته نفسَه وبغضها لا بحسب محبّة الله ورسولِه، وبغضِ الله ورسوله، وهذا نوعٌ من الهوى، فإن اتبعه الإنسانُ فقد اتبع هواه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ (القصص: ٥٠)؛ فإنّ أصلَ الهوى محبةُ النفس، ويتبع ذلك بغضُها.

اتباع الهوى

والهوى نفسه - وهو الحب والبغض الذي في النفس - لا يُلامُ العبد عليه؛ فإنّ ذلك قد لا يملكه، وإنّما يُلام على اتّباعه كما قال -تعالى-: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص: ٢٦). وقال -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ (القصص: ٥٠). وقال النبيّ -ﷺ-: «ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، وكلمة الحق في الغضب والرضا. وثلاثٌ مهلكات: شحٌ مطاعٌ، وهوًى متبعٌ، وإعجاب المرء بنفسه». والحبُّ والبغض يتبعه ذوقٌ عند وجود المحبوب والمبغَض، ووَجْدٌ وإرادةٌ وغير ذلك، فمن اتّبع ذلك بغير أمر الله ورسوله فهو ممن اتّبع هواه بغير هدًى من الله، بل قد يتمادى به الأمر إلى أن يتخذ إلهه هواه».

التجرؤ على المنهج النبويّ

لا يختلف أحدنا أن المعصية بدافع هوى النفس وشهواتها من أجل حُطام الدنيا ولذّاتها الفانية هي ذنب عظيم؛ لما فيها من انتهاك حُرمات الله عزّ وجلّ. ولكن ما يجب أن يعرفه الجميع أنّ الأعظم من ذلك هو التجرُّؤ على المنهج النبويّ الربّاني باسم الدّين وباسم الإصلاح وباسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..؛ فالجُرم هنا متعدٍ ويمس الدّين والمعتقد. فتَقَرُّب العبد إلى الله بما لم يشرعه الله أو يشرعه

شرعُ الله -عز وجل- لم يدْعُ إلى الإصلاح بوسائلَ مفسدتُها أعظمُ من مصلحتها؛ ولم يدْعُ إلى الإصلاح بوسائلَ مرفوضةٌ شرعًا وعقلا

مما يُؤسف عليه اليوم أن تجد من ينتسب لمنهج الإصلاح يحيد عنه بسبب الهوى ويترك ما يقوم عليه المنهج الصحيح من وجوب إخلاص النية مع تمام الانقياد للأوامر الربّانيّة والتوجيهات النبويّة

رسوله، بل قد يكون مخالفًا للشرع انقيادًا لهوى في نفسه؛ إنه لخطر عظيم يُدخل صاحبَه باب البدع والمحدثات في الدّين.

اتباع الأهواء في الديانات

قال ابن تيمية -رحمه الله-: «واتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات، فإنّ الأولَ حالُ الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين كما قال -تعالى-: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ (القصص: ٥٠) وقال -تعالى-: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ..﴾ إلى أن قال: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الروم: ٢٨، ٢٩) وقال -تعالى-: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١١٩)، وقال الله -تعالى-: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٧٧). وقال -تعالى-: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠). وقال -تعالى-: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٤٥)، وقال -تعالى-:﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (المائدة: ٤٩).

موجب الكتاب والسنة

ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من المنسوبين إلى العلماء والعبّاد يُجعل من أهل الأهواء كما كان السلف يسمُّونهم أهل الأهواء. وذلك أن كل من لم يتّبع العلم فقد اتّبع هواه، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله الذي بعث به رسوله -ﷺ-؛ ولهذا قال -تعالى-: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١١٩)، وقال في موضع آخر: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ (القصص: ٥٠).

الواجب على العبد

فالواجب على العبد أن ينظر في نفس حبه وبغضه، ومقدار حبه وبغضه: هل هو موافق لأمر الله ورسوله؟ وهو هدى الله الذي أنزله على رسوله -ﷺ-؛ بحيث يكون مأمورًا بذلك الحب والبغض، لا يكون متقدمًا فيه بين يدي الله ورسوله؟ فإنه قد قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحجرات: ١).

التقدم بين يدي الله ورسوله

ومن أحب أو أبغض قبل أن يأمره الله ورسوله؛ ففيه نوع من التقدم بين يدي الله ورسوله، ومجرد الحب والبغض هو هوًى، لكن المحرّم منه اتّباع حبه وبغضه بغير هدًى من الله؛ ولهذا قال الله لنبيه داود: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (ص: ٢٦). فأخبر أن من اتّبع هواه أضلّه ذلك عن سبيل الله وهو هداه الذي بعث به رسوله وهو السبيل إليه».

الإصلاح منهجٌ توقيفي

ولنعلم أن الإصلاح منهجٌ توقيفيٌ لا يقوم إلا على الإخلاص لله -عزّ وجلّ- واتباع طريقة النبيّ -ﷺ- وتوجيهاته، وكل ما خالف ذلك فليس من الإصلاح، بل الإصلاح بريء منه، قال ابن تيمية -رحمه الله-: "وتحقيق ذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها وقد قال -تعالى-: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (هود: ٧)، وهو كما قال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: أخلصه وأصوبه. فإن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل حتى يكون خالصًا صوابًا. والخالصُ أن يكون لله، والصوابُ أن يكون على السُّنّة.

دعوة الشرع للإصلاح

فشرعُ الله -عزّ وجلّ- لم يدْعُ إلى الإصلاح بوسائلَ مفسدتُها أعظم من مصلحتها؛ ولم يدْعُ إلى الإصلاح بوسائلَ مرفوضةٌ شرعًا وعقلًا، فإن ذلك من المحَال. فلم يكن يومًا التجرُّؤ على أصل من أصول الإسلام وهو الأمر بالاجتماع حول الإمام - الحاكم - المسلم؛ بتأجيج العامة وتأليب السفهاء عليه.. لم يكن ذلك وسيلة من وسائل الإصلاح، بل عدّه الشرع وسيلة من وسائل الإفساد؛ وحذّر منها، وقد تضافرت نصوص الشرع بالأمر بالاجتماع حول الإمام المسلم ونبذ الفرقة والتحزّب؛ ولا ينكر ذلك إلا من خالج هـواهُ نيَّته وخالجت نيَّته ما تمليه عليه انتماءاتُه الحزبية. وإنك لَتعجب ممن زعم الإصلاح من دعاة هذا الزمان كيف خالفوا هذا الأصل العظيم؟ انقيادا لما تمليه عليهم أهواؤهم وانتماءاتُهم الحزبية، فتراهم يتطاولون على الحُكام المسلمين، ويتجرؤون عليهم، بالطعن فيهم، وإظهار مثالبهم والتشهير بذلك أمام العامة، ويرون أن ذلك وسيلة من وسائل الإصلاح -زعموا؛ فيفرّقون جماعة المسلمين، ويُضعفون دولة الإسلام، فيقدمونها لقمة سائغة مستساغة للأطماع الخارجية، بل والأدهى من ذلك والأمَرّ أنهم يستَعْدُون المنظمات المشبوهة بمسمى الحقوق والحريات!! نعوذ بالله من الهوى والضلال.

هدي الإسلام في نقد الأخطاء وتصحيحها

كتب: وحدة البحث العلمي بالفرقان (1)

الخطأ سلوك بشري لابد أن نقع فيه، كبارًا كنا أم صغارًا، وكما أن الأخطاء لا تتساوى، وكذلك تأثيرها لا يتساوى في الأفراد، فقد يكون خطأ ما كبيرًا في نظر أحدنا، بينما تجده صغيرًا ومسموحًا عند آخر، وكذلك لا يمكن أن نترك الأخطاء كما هي، ولا نبحث لها عن حلول تناسبها وتصححها، ولكن هناك أسئلة، وهي: كيف نصحح أخطاء الآخرين؟ وهل هناك أساليب ينبغي أن تستعمل في نقدنا للآخرين؟ وهل نجد في السنة النبوية ما يرشدنا إلى أحسن الأساليب؟

وبالرجوع إلى السنة النبوية نستخرج الأساليب التي استخدمها النبيﷺ في حياته المباركة التي كانت مؤيّدة بالوحي الإلهيّ، وفي هذه المقالة، نحاول أن نأتي بطرف من الأحاديث النبوية التي استنبط منها بعض الباحثين تلك الأساليب لتصحيح الأخطاء.

الأول: النقد عن طريق بيان حكم شرعي

هذا أسلوب استعمله النبيﷺ لتصحيح الأخطاء وتوجيه الأمة، وكثيراً ما يقارن هذا النوع من النقد ببيان سبب شرعيّ حتى يكون النقد مقبولاً ومرحباً به، ومن أمثلة هذا النوع: عن ابْنِ جَرْهَد، عَنْ أَبِيه، أَنَّ النَّبِيَّﷺ مَرَّ بِه وَهُوَ كَاشِفٌ عَنْ فَخِذِه؛ فَقَالَ النَّبِيُّﷺ: «غَطِّ فَخِذَكَ؛ فَإِنَّهَا مِنَ العَوْرَة». صحيح: سنن الترمذي ٥/١١١.

وعن جابرؓ قال: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّﷺ، وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ؛ فَكَسَعَ أَنْصَارِيًا؛ فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَار، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ؛ فَخَرَجَ النَّبِيُّﷺ؛ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّة»؟ ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ «فَأُخْبِرَ بِكَسْعَة المُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ»، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ» صحيح: صحيح البخاري ٤/١٨٣.

الثاني: النقد عن طريق تصحيح التصورات والمفاهيم

ومن أمثلة ذلك من السنة النبوية: عَنْ أَنَسٍ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّﷺ عَنْ عَمَلِه فِي السِّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ؛ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْه؛ فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» صحيح: مسلم ٢/١٠٢٠.

وعَنْ كَهْمَسٍ الْهِلَالِيِّ، قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهﷺ وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، ثُمَّ خَرَجْتُ عَنْهُ؛ فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ حَوْلٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَمَا تَعْرِفُنِي؟، قَالَ: «لَا» ، قُلْتُ: أَنَا الَّذِي كُنْتُ عِنْدَكَ عَامَ أَوَّلٍ، قَالَ: «فَمَا غَيَّرَكَ بَعْدِي؟» قَالَ: مَا أَكَلْتُ طَعَامًا بِنَهَارٍ مُنْذُ فَارَقْتُكَ، قَالَ: «فَمَنْ أَمَرَكَ بِتَعْذِيبِ نَفْسِكَ، صُمْ يَوْمًا مِنَ السُّرُرِ»، قُلْتُ: زِدْنِي، فَزَادَنِي حَتَّى قَالَ: «صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ» صحيح: المعجم الكبير للطبراني ١٩/١٩٤.

الثالث: النقد بالموعظة والتكرار

ويكثر هذا النوع في السنة النبوية المطهرة، ويرجى منه نفع كبير كما يوقظ عقول الغافلين. وسبب ذلك- والله أعلم - لتضمنه الموعظة والتكرار.

ومن الأحاديث النبوية: قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي، «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ»، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللهﷺ؛ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ»، قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي؛ فَقَالَ: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ»، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا. صحيح مسلم: كتاب الإيمان ٣/١٢٦٦.

وعن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول اللهﷺ في سرية؛ فصبحنا الحرقات من جهينة؛ فأدركت رجلا، فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك؛ فذكرته للنبيﷺ؛ فقال رسول اللهﷺ: «أقال لا إله إلا الله وقتلته؟» قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفا من السلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟» فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ. صحيح مسلم: كتاب الإيمان ١/٩٦.

الرابع: النقد بأسلوب الاستفسار والتحقيق ثم الحلول

ومن الأساليب المفيدة في استخدام النقد، أن تستفسر عن الأمور في البداية وقبل النقد، ثم



يعقبه التحقيق ثم الحلول، وحينها يأتي النقد، وكل هذه المراتب: الاستفسار، والتحقيق، والحلول وهذه المراتب تعد مقدمة للنقد، ومهدئة للجو، حتى يكون تصحيحك مناسباً للقبول -إن شاء الله- ومن السنة ما يأتي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ؛ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا؛ فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا؛ فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي» صحيح مسلم: كتاب الإيمان ١/٩٩.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَدْ ظَاهَرَ مِنَ امْرَأَتِه، فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنِّي قَدْ ظَاهَرْتُ مِنْ زَوْجَتِي، فَوَقَعْتُ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ أُكَفِّرَ؛ فَقَالَ: «وَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ؟»، قَالَ: رَأَيْتُ خَلْخَالَهَا فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ، قَالَ: «فَلَا تَقْرَبْهَا حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ» صحيح: سنن الترمذي أبواب الطلاق ٣/٤٩٥.

وعن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِه؛ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ، لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ؛ فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ؛ فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِه؛ فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَقُلْتُ: كَذَبْتَ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ؛ فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ»؛ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ»، ثُمَّ قَالَ: «اقْرَأْ يَا عُمَرُ»؛ فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ؛ فَاقْرَؤوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ» صحيح البخاري: فضائل القرآن ٦/١٨٤.

ومنه حديث عليّ الطويل في شأن حاطب ورسالته إلى كفار قريش، قال عليّ: فَانْطَلَقْنَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ: «مَا حَمَلَكَ يَا حَاطِبُ عَلَى مَا صَنَعْتَ» قَالَ: مَا بِي إِلَّا أَنْ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّه وَرَسُولِه، وَمَا غَيَّرْتُ وَلَا بَدَّلْتُ، أَرَدْتُ أَنْ تَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ مِنْ أَصْحَابِكَ هُنَاكَ إِلَّا وَلَه مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ به عَنْ أَهْلِه وَمَالِه، قَالَ: «صَدَقَ، فَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا» صحيح البخاري: كتاب الإستئذان ٨/٥٧.

من أساليب النبي ﷺ في توجيهاته في النقد، أن تبين للمخطئ ما يترتب على هذا الأمر من الخطورة والضرر -دنيوية كانت أم أخروية-

الخامس: ملازمة الهدوء في النقد والتفكير في الحلول

ينبغي ألا ننسى بأنّ الهدف الرئيس في النقد هو تصحيح الأخطاء وإزالة المنكر، وعلى هذا، يجب علينا أن نَنظر ونُفكر في مآلات الأمور، ونقارن بين ما الأمر عليه الآن وبين ما سيحدث، أو يتغير بعد الإنكار، حتى لا نغيّر المنكر بمنكر أكبر منه، وحتى لا نزيد الطين بلة بسبب إنكارنا، واخترنا للأمثلة ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه الذي خدم النبي رَسُولِ اللهِ ﷺ منذ قدومه المدينة إلى أن توفي ﷺ:

عن أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ؛ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ»؛ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِه الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ. صحيح مسلم: كتاب الطهارة ١/٢٣٦.

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِه؛ فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ خَادِمٍ بِقَصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ؛ فَضَرَبَتْ بِيَدِهَا؛ فَكَسَرَتِ الْقَصْعَةَ؛ فَضَمَّهَا وَجَعَلَ فِيهَا الطَّعَامَ، وَقَالَ: «كُلُوا» وَحَبَسَ الرَّسُولَ وَالْقَصْعَةَ حَتَّى فَرَغُوا؛ فَدَفَعَ الْقَصْعَةَ الصَّحِيحَةَ، وَحَبَسَ الْمَكْسُورَةَ. صحيح البخاري: كتاب المظالم والغضب ٣/١٣٦.

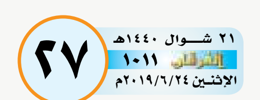
السادس: النقد بذكر خطورة الخطأ أو ضرره

وهذا أسلوب آخر من أساليب النبي ﷺ في توجيهاته في النقد، وهو أن تبين للمخطئ ما يترتب على هذا الأمر من الخطورة والضرر -دنيوية كانت أم أخروية- ولا شك أن هذا الأسلوب مفيد جدا ، كما سيتضح بالأمثلة الحديثية:

عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، أن أباه حدثه: أن رسول الله ﷺ خرج، وساروا معه نحو مكة، حتى إذا كانوا بشعب الخزار من الجحفة، اغتسل سهل بن حنيف، وكان رجلا أبيض، حسن الجسم، والجلد؛ فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل؛ فقال: ما رأيت كاليوم، ولا جلد مخبأة فلبط بسهل؛ فأتي رسول الله ﷺ؛ فقيل له: يا رسول الله، هل لك في سهل؟ والله ما يرفع رأسه، وما يفيق، قال: « هل تتهمون فيه من أحد؟»، قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة فدعا رسول الله ﷺ عامرا؛ فتغيظ عليه وقال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت؟»، ثم قال له: «اغتسل له»؛ فغسل وجهه، ويديه، ومرفقيه، وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلة إزاره في قدح، ثم صب ذلك الماء عليه، يصبه رجل على رأسه، وظهره من خلفه، يكفئ القدح وراءه؛ ففعل به ذلك، فراح سهل مع الناس ليس به بأس. مسند الإمام أحمد: مسند سهل بن حنيف ٢٥/٣٥٥-٣٥٦.

وعن ابن عباس، أن رجلا لعن الريح - وقال مسلم: إن رجلا نازعته الريح رداءه على عهد النبي ﷺ؛ فلعنها-؛ فقال النبي ﷺ: «لا تلعنها؛ فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه» صحيح: سنن أبي داود، كتاب الأدب ٤/٢٧٨.

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيه، قَالَ: مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلًا، عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَقَالَ: «وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» مِرَارًا «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مَحَالَةَ؛ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلَانًا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى الله أَحَدًا أَحْسِبُهُ، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ، كَذَا وَكَذَا». صحيح مسلم: كتاب الزهد ٤/٢٢٩٦.



حكمة وقوع الشر في العالم

الشيخ: محمد محمود أحمد
الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

إن الأدلة التي تدل على وجود الله -تعالى- كثيرة، لا تقع تحت حصر، في السموات وفي الأرض، في الإنسان وفي الحيوان، وفي الطير، والحشرات، والأسماك، والجبال، والسهول، والبحار، والأنهار، والنجوم، والكواكب، لو تأملت كل شيء في الكون في ذاته؛ من حيث هو لوجدت فيه تعقيدًا بالغاً يستعصي في وجوده، وفي تركيبه، على زعم الصدفة، ولو تأملت لوجدت فيه أيضًا من الاختلاف والتمايز ما ينفي التراتبية التي يسميها (الملحدون الجدد) زورًا وبهتانًا بالحتمية العلمية.

ثم إذا نظرت في مجموع ذلك الخلق؛ من حيث تنوعه وتعدده وكثرته التي تفوق الحصر لوجدت ذلك دليلا ثانيًا على وجود الخالق العظيم المبدع، ثم إذا نظرت مرة ثالثة إلى ذلك الخلق المتعدد، في السموات بكواكبها ونجومها، وفي الأرض بما عليها من كائنات وموجودات، كيف أن كُل هذه المخلوقات تحافظ على وجودها إلى جوار غيرها الذي هو من جنسها، وغيرها الذي هو من الأجناس الأخرى؟، من الذي هيأ لها أسباب البقاء، وهداها إليها؟، وهي إما كائنات لا تعقل، أو ذات عقول محدودة، لا تفكر؛ فستجد عند ذلك الإجابة التلقائية العفوية يهتف بها قلبك وعقلك قائلة إنه الله العظيم.

الإنسان العاقل

بهذه البساطة في الاستدلال يهتدي الإنسان العاقل إلى أن الكون له خالق، وإذا كنا لا نراه؛ فما ذلك إلا لأن ملكاتنا محدودة، وقدراتنا قاصرة عن إدراك ذاته -سبحانه- مع ذلك تبقى مشكلة وقوع الشر في العالم هي المعضلة التي تحرك الشبهات والشكوك في عقول الملحدين على اختلاف مشاربهم وتياراتهم، وهي ليست مشكلة بلا حل، لكنها تظل كذلك عند الملحد إمعاناً منه في تمجيد ذاته التي لا تقبل وقوع الابتلاء عليها، وإمعاناً منه في انعدام البصيرة التي لا يرى معها للإنسان وجوداً محتملاً في غير هذا العالم الفاني.

معضلة الشر في عقول الملحدين

إن استعصاء فهم حكمة وقوع الشر في العالم أوقع الملحدين في لبس عظيم، وضلال مبين؛ حيث إنهم يقولون: لو كان للعالم إله خالق لما سمح للشر أن يقع؟!؛ فوقوع الشر دليل عندهم على عدم وجود الله -تعالى-!، لكن هذا الدليل في الواقع فقّاعة لا مضمون لها ولا وزن؛ ذلك لأن الشر حين يقع في العالم؛ فإنما يقع بالمخالفة لتعاليم الله -تعالى-؛ فالذي يعمل الشر هو الذي لا يطبق تعاليم الله- تعالى-؛ فالله لا يأمر بالشر، ولا يحث عليه، بل نهى عنه وحذر منه، فمن ذلك مثلاً: قوله -تعالى-: {وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (البقرة:١٩٠)، وقوله -تعالى-: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} (البقرة: ٢٠٥)، وقوله -تعالى-: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (آل عمران: ٥٧)، وقوله -تعالى-: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا}(النساء: ٣٦)، وقوله -تعالى-: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}، (الأنفال: ٥٨)؛ فحين يقع الشر في العالم؛ فهو يقع بالمخالفة لأمر لله -تعالى-.

عقاب أهل الشر في الآخرة

ينتظر الملحدون أن تتدخل عناية الله -تعالى- في الدنيا لتنصر المظلوم على الظالم، وتكبح جماح الشر وأهله، وتعلي راية الحق وأهله، وينتظر الملحدون تدخلاً قدرياً حاسماً، تسود على أساسه قيم المحبة، والحرية، والسلام، ربوع الأرض؛ وحيث إن ذلك لا يحصل؛ فإن هذا يعني أن الإنسان هو إله نفسه، هو الذي يفعل ولا فاعل غيره!.



الطرح الساذج

وذلك الطرح الساذج إنما دفع إليه الكفر باليوم الآخر أصلاً؛ فلو آمن الملحد بالآخرة لما طرأ على ذهنه ذلك التفكير السطحي الساذج؛ فالدنيا وفق بيان الله عنها وعن حقيقتها، مجرد قاعة امتحان للخلق جميعاً أخيارهم وأشرارهم، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(هود: ٧)، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(الكهف: ٧)، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ٢)؛ فنحن على الأرض بمثابة الجالسين في قاعة الامتحان، أما النتائج التي ستُظهر فوز المظلوم ودحر الظالم، ومكافأة المصلح، ومعاقبة المفسد؛ فإنها ستكون في الآخرة، قال -تعالى-: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ(٢٠)﴾ (البلد: ١٠-٢٠)؛ فبين أن النجاة في الآخرة لا تكون إلا بفعل الخير في الدنيا «فكاك أسرى، وإطعام جوعى، وعطف على أيتام، ومساعدة مساكين، وإيمان، وصبر، ورحمة»، وأما من كفر بأعمال الخير وجحدها وعمل بضدها فله عقوبة النار.

عذاب دنيوي يقع على المفسدين

حين تتشكك القلوب وترتاب، وتتشابك الأفكار في عقل الإنسان؛ فلا يستطيع عند ذلك أن يَسْتَلَّ الحق من بين ركام الأباطيل، وإذا به يقول: إذا كانت الدنيا هي دار الابتلاء والآخرة هي دار الجزاء؛ فلماذا يقع العقاب على بعض المفسدين في الدنيا، على النحو الذي ورد ذكره في سور القرآن الكريم؟، كقوم نوح، وفرعون، وعاد، وثمود، وغيرهم؟ وإن إزالة ذلك اللبس الفكري، يحصل بأن يتذكر الإنسان أن ما جرى على هؤلاء إنما هو الإبادة، أي إنهاء حياتهم إنهاء عنيفا وقويا وحاسما، أي أن هذه ليست هي العقوبة، كل العقوبة، إنما هذه مقدماتها فحسب؛ «فلا يمكن أن تكون نهاية شرير يرتكب الفظائع على مدى خمسين عاماً مثلاً أن يلقى حتفه تحت عجلات قطار سريع فحسب، ويكون الأمر بذلك قد انتهى، إن العدالة تأبى ذلك» لكن حين يقع شيء من ذلك، وأضرابه مما لحق بالأمم التي أساءت استقبال رسالات الله لها؛ فإن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد إظهار لغضب الله على هؤلاء الفاشلين، حتى تكون لنا نحن من بعدهم فيهم العبر والدروس والعظات، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢).

استعصاء فهم حكمة وقوع الشر في العالم أوقع الملحدين في، وضلال مبين؛ حيث إنهم يقولون: لو كان للعالم إله خالق لما سمح للشر أن يقع؟!

الأمم المعاندة

فالحاصل أن ما قصه الله علينا من قصص هذه الأمم المعاندة للحق، لم يكن سوى أنه أنهى حياتهم الدنيوية، إنهاء حاسما، يشبه ذلك أخذ ورقة الإجابة من المتحَنين وإخراجهم بالقوة من قاعة الامتحان بعد أن أجابوا عن الأسئلة كلها في الصفحات إجابات خطأ، وأصروا على ذلك، وصاروا يثيرون الهرج وعدم الانتظام داخل قاعات الامتحان، وقد توالت قبل صرفهم بالقوة عديد من التحذيرات لهم، وإنذارهم، لكنهم لم يعبؤوا بذلك؛ فطردوا بالقوة حسماً لفتنتهم، حتى لا يتسرب هرجهم إلى سائر لجان الامتحانات؛ فيتأثر بهم غيرهم؛ فالحاصل أن إفناء المكذبين للرسل (عاد وثمود ونحوهم) لم يكن هو العقوبة، بقدر ما هو مقدمة وبداية لها؛ ولذلك يخبرنا -سبحانه وتعالى- أنهم يوم القيامة سوف يندمون حين يعاينون العذاب ويباشرون العقوبة ويطلبون الرجوع للدنيا لتصحيح الإجابة، قال -تعالى-: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾(فاطر: ٣٧).

حين تتشكك القلوب وترتاب، تتشابك الأفكار في عقل الإنسان؛ فلا يستطيع عند ذلك أن يَسْتَلَّ الحق من بين ركام الأباطيل

لماذا يقع العذاب ؟

حين يقع العذاب ببعض المفسدين دون بعض؛ فإن ذلك يحصل لسببين: الأول: أنه سبق في علمه -سبحانه- أن هؤلاء المعذبين لن يتغير موقفهم، وأنهم لن يزدادوا بالحياة إلا فساداً وطغياناً، كما لن يخرج من أصلابهم من يرُجى فيه الصلاح؛ فعند ذلك تكون الإبادة حتمية.

والثاني: لكي تحصل بهلاكهم على هذا النحو الشديد، عبرة لمن يعرف بهم وبما حل بهم؛ فلا يحذو حذوهم ولا يفعل فعلهم، وإن ذلك يعني أن الذنوب نفسها التي ارتكبها الهالكون، قد يرتكبها آخرون ولا تنزل بهم عقوبة الإفناء والإبادة كما نزلت بغيرهم، لسببين أيضاً: إما لأنه سبق في علمه -سبحانه- أنهم سيؤمنون، أو سيخرج من أصلابهم من يؤمن، أو أن هؤلاء مع كفرهم بالله -تعالى- أو ارتكابهم للشر، لديهم أعمال أخرى صالحة، فيها نفع وفائدة للإنسانية في حركة حياتها الدنيوية.

والخلاصة أن الأصل عدم تدخل الأقدار بترجيح كفة أهل الخير على كفة أهل الشر في الدنيا، لكن ذلك يحصل في حالات محدودة لحكمة معينة، يُسَلِّم بها المؤمن لخالقه، بمقتضى إيمانه به، ويدركها كل عاقل إذا أعطى لنفسه فسحة من التعقل والتدبر.

قرائن الأحوال وأهميتها في الأحكام الشرعية

مركز سلف للبحوث والدراسات
مركز متخصص في الدفاع عن السلفية - مكة المكرمة

عمارة هذه الدنيا والعمل على إصلاح المجتمع من أساسيات الدين؛ فقد قال النبي ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل»، فلا بد أن نبني في الشاب قاعدة: (أنا لمجتمعي ومجتمعي لي)، ونقول له: يجب أن نعمل ونقاوم جميعا ونتصدى للتحديات والعقبات التي تواجهنا حتى نستطيع أن ننفع أمتنا ومجتمعنا في هذه الدنيا.

ينبني الفقه الإسلامي على مجموعةٍ من القواعد والضوابط تنظِّم العقلية العلمية للمفتي في الأحكام الشرعية والقاضي بها، ومن هذه القواعد نصوصٌ شرعيّة تدلّ على الحكم بذاتها وتفيده، كما أن منها قضايا عدها الشارع في أبواب معيّنة، وجعلها علامةً على الحكم، ونزَّلها منزلة الدليل أو البيّنة، وغالبًا ما تكون هذه القضايا متعلقةً بتصرفات المكلفين، وما تدلّ عليه عقلًا وشرعًا؛ فقد اعتد الشارع فيها أحوالًا معينة، وجعلها مفسِّرة للفعل؛ من حيث مراد صاحبه؛ ومن حيث إمكانية إسقاط الحكم الشرعي عليه، ومن أهم هذه القضايا ما يعرف عند الأصوليين بـ: (قرائن الأحوال)؛ فقد بنت الشريعة عليها كثيرًا من الأمور، ورتّبت عليها كثيرًا من الأحكام، ونحن في هذا المقال سوف نتناول قرائن الأحوال وعلاقتها بالأدلة وأهميتها في الاستنباط والقضاء.

قرائن الأحوال وعلاقتها بالأدلة

لقد قسم الأصوليون الأدلة باعتبار التبعية -أي: التي لا تستعمل مستقلة وإنما تابعة- إلى ثلاثة أقسام: عقلية، وحسية، وما تردد بينهما أي: بين الحسي والعقلي، وإن كان إلى الحسي أقرب كالوجدانيات، وهي ما يجده الإنسان في نفسه مثل: الفرح، والحزن، والجوع، والعطش؛ فالحس لا يدرك كل هذه الأشياء، وإنما يدرك جزئياتها، والعقل يدرك الأمور الكلية ولا يدرك كل الجزئيات؛ فكانت متردّدة.

وقسم ثالث: نصوا على أنه مركب من الدليل العقلي والحسي وهو الحدسيات، والحدس عندهم هو سرعة الانتقال من المبادئ إلى المطالب، وكذلك التجريب؛ فإنه مركب من الحسي والعقلي والمتواتر؛ فإن حظ الحس فيه كونه هو مستنده، وحظ العقل فيه، هو أنه يستحيل الكذب فيه عنده، ومثلها قرائن الأحوال؛ فإنها مركبة من حسي وعقلي؛ فالحسي هو الذي يراه الإنسان بعينه من حمرة في وجه الإنسان؛ فيستدل بها على غضبه، أو صفرة؛ فيستدل بها على مرضه.

وقرائن الأحوال لا يمكن حصر أجناسها، وتمييزها بالنعوت والأوصاف عَن أغيارها، وَهَذَا كَمَا أَن خجَل الخجل ووجَل الوجل وَجُبن الجبان وبسالة الباسل تعلم ضَرُورَة عِنْد ثُبُوت الْأَوْصَاف، فَلَو أردنَا نعتها لم نقدر عَلَيْهَا.

فقرائن الأحوال إذا هي من قسم المركَّبات، أي: ما ركب من الحسي والعقلي، وليست دليلا مستقلا يستند إليه، وإنما يستعمل تبعا للدليل الشرعي؛ فقد يعده في باب ويرده في أبواب أخر؛ فمن أمثلة اعتباره منع الخلوة، والتفريق بين الرجل والمرأة غير المحرمين؛ لأن الخلوة من غير محرمية قرينة على الوقوع في المحرم؛ فاعتدت هنا، لكنها لا تعتد في إثبات الزنى على المكلفين؛ وذلك أن الشريعة طلبت بيّنة أعلى من القرينة وأوثق.

الدليل على اعتبار قرائن الأحوال

أما الدليل من الكتاب والسنة على اعتبار قرائن

تصديق دعوى الزوجة على زوجها الدخول بها بمجرد الخلوة، وإلزامه الصداق، وإلزامها العدة كذلك

لم يختلف العلماء في اعتبار قرائن الأحوال وقيامها مقام البينات عند انعدامها، وكونها دليلا على ما يفيد المدح والذم شرعا

الأحوال، سواء في الفتيا أم في القضاء؛ فهو ما سوف نورده لك إن شاء الله.

مقام البينات

لم يختلف العلماء في اعتبار قرائن الأحوال وقيامها مقام البينات عند انعدامها، وكونها دليلا على ما يفيد المدح والذم شرعا، ومن أمثلة إقامتها مقام البينات: قوله -سبحانه- في قصة يوسف: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (يوسف: ٢٦)؛ فقد حكم مالك بقرائن الأحوال مستندا إلى هذه الآية، وهذا على القول بأن الشاهد رجل؛ ففي بعض الروايات في السنة أنه صبي، وعليه فتكون المسألة من قبيل المعجزة. وكذلك قوله: ﴿وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ١٨)؛ فأجمعوا على أن يعقوب استدل على كذبهم بصحة القميص وعدم تمزُّقه؛ فاستدل الفقهاء بهذه الآية في إعمال الأمارات في مسائل كثيرة في الفقه.

المدح والذم

ومن الاستدلال بها على ما يوجب المدح والذم: قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ (التوبة: ٩٢)؛ فقوله: ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ هو من قرائن الأحوال التي يستدلّ بها.

ومن أدلته قول النبي ﷺ: «الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن في نفسها، وإذنها صماتها»؛ فجعل الصمت قرينة دالة على الرضا، قال ابن الهمام: والمعول عليه اعتبار قرائن الأحوال في البكاء والضحك؛ فإن تعارضت أو أشكل احتيط.

الشفقة

وكذلك الشفقة؛ فإنها قرينة على عدم تقصّد الأذية؛ فأبطلت الشريعة بها القصاص؛ فقد قال ﷺ: «لا يقتل والد بولده»، وقد اعتدت الشريعة القرائن في أغلب الأبواب الفقهية؛ فقبلتها فيما يرفع إلى القاضي من المنازعات، وفي الأنكحة والمعاملات، وكذلك في الرواية.

قبول القرائن في القضاء

من الأدلة على قبول القرائن في القضاء حكم النبي ﷺ بموجب اللوث في القسامة، واللوث كل ما يوجب التهمة، وقد حكم به النبي ﷺ كما في حديث حويصة ومحيصة في الصحيحين؛ فوجود العداوة بين المتهمين بالقتل، وبين القتيل كان قرينة تقوي التهمة في حقهم، واللوث علامة ظاهر لصدق المدعي، وقد عدها الشارع في اللقطة، وفي النسب، وفي استحقاق السلب، إذا ادعى اثنان قتل الكافر، وكان أثر الدم في سيف أحدهما، أدل منه في سيف الآخر، ومنها كذلك أمر النبي ﷺ أن تدفع اللقطة إلى واصفها، وجعله معرفة العفاص والوكاء قائما مقام البينة.

اعتدت الشريعة القرائن في أغلب الأبواب الفقهية؛ فقبلتها فيما يرفع إلى القاضي من المنازعات، وفي الأنكحة والمعاملات، وكذلك في الرواية

قبول القرائن في النكاح

فمنها أن تصديق دعوى الزوجة على زوجها الدخول بها بمجرد الخلوة، وإلزامه الصداق، وإلزامها العدة كذلك، وكذلك صمت البكر كما تقدّم في أول المقال، وكذلك اتفاق الفقهاء على جواز وطء الرجل المرأة إذا أهديت له ليلة زفافه، ولو لم يشهد عنده شاهدان أنها زوجته؛ لأن القرينة الظاهرة مُنزَّلة مَنزِلة الشهود.

قبول القرائن في سائر الأحكام

جرى عمل الناس قديمًا وحديثًا على قبول قول الصبيان والإماء المرسل معهم الهدايا وأنها مرسلة إليهم؛ فيستحلون بها المال والطعام، كما يعدون إذن الصبي في دخول المنزل، وكلها أمارات. وكذلك في البيع؛ فإن كل ما يدل على الإيجاب والقبول؛ فإنه يعد إذنًا عندهم وقرينة على الرضا، واعتبارهم علامة الإسلام في الركاز، وأنه بها يسمى كنزا، وإذا وجد عليه الصليب أو أسماء ملوك الروم فهو ركاز.

كما عدوها في الرواية؛ فكثيرًا ما رجحوا خبر الآحاد إذا احتفت به القرائن، ونزلوه منزلة المتواتر، ورجحوا رواية الراوي المشاهد لقرائن الحال على الراوي السامع، الذي لم يشاهد قرائن الأحوال التي تقيد المطلق من الكلام وتخصصه.

وبهذا يتبين لك -أيها القارئ الكريم- أهمية مراعاة القرائن في الفتوى والأحكام، وهذا يفيدنا في التثبت في كثير من الفتاوى العابرة للقارات، التي لا تراعي عرفا ولا عادة، فضلا عن القرائن التي توجب الحكم أو تصرفه عن ظاهره، وهي أمور لا يتحقق منها إلا بمباشرة الحادثة، أو النقل المُفصّل الأمين لملابساتها، ومن لم تكن عنده ملكة الجمع بين القرائن ومراعاتها فتصدُّره للفتيا والقضاء حيف وجور في حق الأمة.

إلمامة سريعة

كانت تلك إلمامة سريعة بهذا الباب، ليس المقصود منها استيعابه ولا حصره، وإنما تقريبه للمهتم، وتذكير المختص به، وتوجيه التائه إلى أهمية ضبط هذه المسألة التي تزل فيها الأقدام وتحار فيها الأفهام، وهي تحتاج توفيقًا وعقلًا زائدين على المعتاد، لكي يعمل الحاكم والمفتي فكريهما في الوصول إلى الحق، من خلال مراعاتها واعتدادها ومعرفة مجالها ومظانها.

الضوابط الفقهية للأعمال الوقفية

الراجح صحّة وقف المنافع المباحة، ولو دون الأعيان

كتب: د. عيسى القدومي

باب الوقف من الأبواب المهمة التي من الأهميّة تقرير ضوابطه؛ ذلك أنّ عامّة أحكام الوقف اجتهاديّة؛ فلا مناص من الانطلاق في تقريرها من أصول الشريعة العامّة، الضابطة لباب المصالح والمنافع على وجه الخصوص، ثمّ من القواعد الفقهيّة الكلّيّة، ثم يترجم كلّ ذلك على هيئة ضوابط، ولاسيما بباب الوقف، وهو ما سنتناوله في هذه السلسلة المباركة -إن شاء الله- واليوم مع الضوابط المتعلّقة بالعين الموقوفة، ومنها أن الراجح صحّة وقف المنافع المباحة، ولو دون الأعيان.

معنى الضابط

هذا ضابطٌ متعلّقٌ بمواصفات الموقوف في ذاته، ويتعرّض لفكرة اختلف فيها أهل العلم، وهي: هل يُشترط في الوقف التأبيد على ما ذهب إليه الجمهور؟ أم لا يُشترط فيه ذلك كما اعتمده المالكيّة؟ وممّا يتفرّع عن ذلك: هل يصحّ وقْف منفعة عين استقلالاً دون العين نفسها؟ وسيتبيّن الجواب على ذلك بالآتي -إن شاء الله.

المنافع: جمع منفعة، وهي أعراضٌ مستفادةٌ، من الأعيان يمكن استيفاؤها منها.

وقد قيل في حدّها: ما لا تمكن الإشارة إليه حسًّا دون إضافة، يمكن استيفاؤه، غير جزء ممّا أُضيف إليه.

ومن أمثلتها: سُكنى الدّار، ولبن الدّابة وركوبها، وغلّة الأرض.

وقد اختلف أهل العلم ابتداءً في ماليّة المنافع، وقابليّتها للتّقويم؛ فكان ذلك خلافاً مؤثّراً ولابّد في أحكام ما يرد على المنافع من العقود، كعقد الإجارة؛ لأنّه تمليكٌ للمنفعة دون العين، ومن ذلك أيضاً وقف المنافع، على أنّ الخلاف في صحّة وقف المنافع لم يتفرّع فقط عن القول بماليّة المنافع أو عدمه، وإنّما عن اشتراط التأبيد في الوقف أيضاً؛ لذلك فقد اختلف في هذه المسألة المتّفقون على القول بماليّة المنافع، لاختلافهم في هذا الشرط.

ماليّة المنافع

أمّا عن ماليّة المنافع؛ فيؤول الخلاف فيها إلى قولين: «أحدهما للحنفية: وهو أن المنافع ليست أموالاً متقوّمةً في حدّ ذاتها؛ لأنّ صفة الماليّة للشيء إنما تثبت بالتموُّل، والتموُّل يعني صيانة الشيء وادّخاره لوقت الحاجة، والمنافع لا تبقى زمانَيْن، لكونها أعراضاً؛ فكلّما تخرج من حيّز العدم إلى حيّز الوجود تتلاشى؛ فلا يُتصوّر فيها التموُّل.

غيرَ أنّ الحنفيّة يعدون المنافع أموالاً متقوّمةً إذا ورد عليها عقد معاوضة، كما في الإجارة، وذلك على خلاف القياس، وما كان على خلاف القياس؛ فغيره عليه لا يقاس.

والثاني لجمهور الفقهاء من الشافعية والمالكية والحنابلة: وهو أنّ المنافع أموالٌ بذاتها؛ لأنّ الأعيان لا تُقصد لذاتها، بل لمنافعها، وعلى ذلك أعراف الناس ومعاملاتهم. ولأنّ الشرع قد حكم بكون المنفعة مالاً عندما جعلها مقابلةً بالمال في عقد الإجارة، وهو من عقود المعاوضات المالية، وكذا عندما أجاز جعلها مهراً في عقد النكاح؛ ولأنّ في عدم اعتبارها أموالاً تضييعاً لحقوق النّاس، وإغراءً للظّلمة في الاعتداء على منافع الأعيان التي يملكها غيرهم، وفي ذلك من الفساد والجور ما يناقض مقاصد الشريعة وعدالتها. وقال الشربيني الخطيب: المنافع ليست أموالاً على الحقيقة، بل على ضرب من التوسع والمجاز، بدليل أنها معدومةٌ لا قدرة عليها».

أمّا وقف المنافع استقلالاً، دون وقف العين المنتفَع بها، كوقف سُكنى بيت معيّنٍ دون البيت؛ فقد اختلف فيها أهل العلم على قولين أيضاً.

القول الأوّل

عدم صحّة وقفها، وهو قول الحنفيّة والشافعيّة والحنابلة.

وجُلّ استدلالات هؤلاء المانعين تدور حول ما تقدّمت الإشارة إليه، من كون المنفعة ليست مالاً، أو لكونها ليست شيئًا يمكن استيفاؤه على التأبيد وإن أقررنا بكونها مالاً، ولكون العين هي الأصل، ومنفعتها فرعٌ تابعٌ لها، ولا قيام للفرع دون أصله.

القول الثاني

أنّ وقف المنافع دون الأعيان صحيحٌ، وبه قال المالكيّة في المعتمد من المذهب، واختاره شيخ الإسلام ابن تيميّة -رحمه الله-.

قال الدّردير: «وأرادَ بالمملوك: ما يشمل مِلْك الذّات ومِلْك المنفعة؛

فلذا قال: (وإنْ) كان المِلْك المدلول عليه بمملوك (بأجرة) كدارٍ استأجرها مدّة معلومةً؛ فله وقف منفعتها في تلك المدة، وينقضي الوقف بانقضائها؛ لأنه لا يُشترط فيه التأبيد كما سيأتي، وشمل قولُه: بأجرة، من استأجر داراً محبَّسَةً مـدّةً؛ فلَه تحبيس منفعتها على مستحقٍّ آخر غير المستحقّ الأوّل في تلك المدة، وأمّا المحَبَّسُ عليه فليس له تحبيسُ المنفعةِ التي يستحقّها؛ لأنّ الحَبْس لا يُحَبَّس».

لو وقف منفعةً يملكُها

وقال شيخ الإسلام: «ولو وقف منفعةً يملكها؛ كالعبد الموصى بخدمته، أو منفعة أمِّ ولده في حياته، أو منفعة العين المستأجرة؛ فعلى ما ذكره أصحابنا: لا يصحّ، وعندي هذا ليس فيه فقه؛ فإنّه لا فرق بين وقف هذا ووقف البناء والغراس، ولا فرق بين وقف ثوب على الفقراء يلبسونه، أو فرس يركبونه، أو ريحان يشمّه أهل المسجد، وطيب الكعبة حكمه حكم كسوتها؛ فعُلم أنّ الطّيب منفعةٌ مقصودةٌ، لكنْ قد يطول بقاءُ مدّة التطيُّب، وقد يقصر، ولا أثر لذلك».

اعتبار المنافع

وبهذا يظهر لنا ألا شيء يمنع من اعتبار المنافع مقصودةً، وأنّ استيفاءها والانتفاع بها وتحقُّق مصالح وجودها قابلٌ للانفكاك عن الأعيان، بل قال الزّنجاني في بعض تقريراته الحسنة: «معتقدُ الشافعيِّ رضي الله عنه أنّ منافع الأعيان بمنزلة الأعيان القائمة في الماهية، وحقيقتها عندنا تهيُّؤ الأعيانِ واستعدادها بهيئتها وشكلها لحصول الأغراض منها.

مثاله: إنّ الدّار بسُقوفها لَتُهَيَّأ لدفع الحَرِّ والبرد، وبحيطانها لدفع السُّرَّاق والغُصَّاب عمَّا فيها، وبأرضها لمعنى الهُوِيِّ بسكّانها إلى أسفل، وكذلك كل عين لها هيئة تتميّز بها عن الأخرى، وبها تستعدّ لحصول الغرض منها؛ فهي منفعتها.

أعراضٌ متجدّدة

وهذه الهيئات أعـراضٌ متجدّدة، توجد وتفنى كسائر الأعراض، وهي أموالٌ متقوّمة؛ فإنها خلقت لمصالح الآدميّ وهي غير الآدميّ، وإطلاقُ لفظ المال عليها أحقّ منه على العين؛ إذ التّضمين لا يسمّى مالاً إلا لاشتمالها على المنافع؛ ولذلك لا يصحّ بيعها دونها.

وأنكر أبو حنيفة -رحمه الله- كون المنافع في أنفسها أموالاً قائمة بالأعيان، وزعموا أنّ حاصلها راجعٌ إلى أفعالٍ يحدثها الشخص المنتفع في الأعيـان بحسب ارتباط المقصود بها؛ فيستحيل إتلافها؛ فإنّ تلك الأفعال كما توجد تنتفي، والإتلاف عبارةٌ عن قطع البقاء، وما لا بقاءَ له لا يُتصوَّر إتلافُه، غير أنّ الشرع نزّلها منزلةَ الأعيان في حقّ جواز العقد عليها رخصةً؛ فتعيّن الاقتصارُ عليها.

النظر إلى الحقائق

ونحن نقول: هذا مسلَّم إذا نظرنا إلى الحقائق وسلكنا طريق النظر، ولكن الأحكام الشرعيّة غيرُ مبنيّة على الحقائق العقليّة، بل على الاعتقادات العُرفيّة، والمعدوم الذي ذكروه، مالٌ عُرفًا وشرعاً، وحُكْمُ الشّرع والعُرف غالبٌ في الأحكام، والشّرع قد حكم بكون المنفعةِ موجودة مقابلة بالأجرة في عقد الإجارة، وأثبتت الإجارة أحكام المعاوضات المحصنة، وأثبتت للمنفعة حكم المال، والعُرف يقضي بـأنّ من أثبتَ يـدَه على دارٍ وسَكَنَها مـدّةً، أنّه يفوّت منافعَها».

وقـف المنـافـع دون الأعـيـان صحيحٌ، وبـه قـال المالكيّة في المعتمد من المذهب، واختاره شيخ الإسلام ابن تيميّة -رحمه الله

جذور الخلاف

فهذا استعراضٌ متينٌ لجذور الخلاف في ماليّة المنافع، وجوابٌ محكمٌ على قول من نفى ذلك، بأنّ العُرف قاض بماليّتها، والشّرع مقرٌّ بذلك، وقد رأينا كيف أجرى الحنفيّة أنفُسهم سلطانَ العُرف في تجويزهم لوقف المنقول إذا جرى العُرف به؛ فمن سلّم بماليّة المنافع لتقرير الشرع لذلك بناءً على جريان العُرف به، وهو عرفٌ قويٌّ عامٌّ مستقرٌّ غالبٌ، متوفّرةٌ فيه شروط الإعمال والاعتبار، ولا يكاد يخلو منه زمانٌ ولا مكان؛ فلا مناص من أن يسلِّم بصحّة وقف المنافع ولو منفكّةً عن الأعيان، وهذا هو القول الراجح -إن شاء الله.

على أنّنا نُضيف فيما يتعلّق بمنع وقْف المنافع؛ لأنّ وقفها لا يتأبّد، بأنّ ذلك غير لازم، بل التأبيدُ واردٌ فيها جدًا، كما في الوصيّة؛ فإنّهم يُصحّحون أن يوصي إنسانٌ لإنسانٍ بسُكنى داره أبداً، وبخدمة عبده أبداً، واستيفاؤه منها ممكنٌ ما بقي الموصى له، وما بقيت تلك الأعيان؛ فالتوقيت ليس ملازماً أصلاً للمنافع، بل تأبيدها ممكنٌ، وعليه فتصحيح وقفها ينبغي ألا يشكل على قول من يشترط التأبيد، والوقف في ذلك مقيسٌ على الوصيّة بجامع أنّ كليهما من عقود التبرّع.

التطبيقات

يصحّ وقف سُكنى الدّار المستأجرة مدّة معلومةً؛ فإذا انقضت مدّة الإجارة رجعت الدار ومنافعها إلى ملك صاحبها.

يصحّ وقف ركوب السيارة واستعمالها للتنقّل؛ فإذا انعدمت منفعتها بالتلف والعطب، رجعت إلى صاحبها يتصرّف فيها بما يراه.

يصحّ وقف حقوق الطبع والنّشر للكتب. يصحّ وقف حقوق الابتكار، سـواءً كـان حقًّا نتيجة التأليف في الأدب والعلم الشـرعيّ، أو ما يتعلّق بالعلامات التجاريّة، أو ما ينشأ عن بـراءات الاختراع في العلوم الطبيعية، أو التكنولوجيا، لكونها جميعاً حقوقٌ معنويّة لهـا مـردودٌ مـاديٌّ مملوك لأصحابها، ويتوصّل إليها لمن أراد الانتفاع بها بالشّراء، وتوهَب وتُباع وتُعار؛ فيصحّ وقفها.

يـصـحّ وقــف سُكـنـى الــدّار المستأجرة مـدّة معلومةً؛ فإذا انقضت مـدّة الإجـارة رجعت الدار ومنافعها إلى ملك صاحبها



التوازن في البلاغ والبناء

كتب: نور الدين عيد

على أهل العلم والدعاة القدر الأكبر في البناء، كما أن لهم الأجر الأعظم يوم الحصاد، فدلالتهم ملاط الجمال، وأعمدة الجدران، وحصيرة البنيان، فأمانتهم أوثق، وحملهم أثقل، وإليك البيان: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب:٧٢)، واذكر ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال:٢٧)، فعملكم عمل من شرف قبلكم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب:٤٥-٤٦).

أولاً: التوازن في البلاغ

فمما تجدر الإشارة إليه أولاً التوازن الداخلي عند الداعية: فختم الرسالة بمحمد -ﷺ- له سمات ودلائل، منها كمال شرعته وتتميمها لما سبقها، قال -تعالى-: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ. وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (المائدة:٤٨-٤٩).

وعن أبي هريرة أن النبي -ﷺ- قال: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ» (متفق عليه).

قال ابن الجوزي: «اعلم أن بدء الشرائع كان على التخفيف، فلا يعرف في شرع نوح وهود وصالح وإبراهيم تثقيل، ثم جاء موسى بالتشديد والإثقال، وجاء عيسى بنحوٍ من ذلك، وجاءت شريعة نبينا -ﷺ- تنسخ تشديد أهل الكتاب، ولا تطلق في تسهيل مَن كان قبلهم، فهي على غايةٍ من الاعتدال مع ما تحوي من محاسن الآداب، وتلقيح العقول وتعليم الفطنة، وتدل على استنباط خفي المعاني، إلى غير ذلك مما لم يكن فيما تقدم» (كشف مشكل الصحيحين).

فهذه سمة الرسالة الخاتمة، فلا ينبغي للداعية أن يحمل الناس على الشطط أو التساهل، بل أمانة البلاغ إما أن ينجو بها أو يصير أهلك الخلق بتحريفه لها، فلا الضغوط تسوغ له تحريف المنهج المستأمن عليه، ولا رفض الناس له سبب لترخيص



إياك أن تظن أن أذى الناس مسوغ لعدم البلاغ الحق بلا تحريف أو كتمان؛ فوازن بيْن بلاغ الدين وعدم التفات قلبك لرضا الناس أو سخطهم

لا تتكاسل عن البلاغ بدعوى الملل والسآمة، في وسط المنابر الإلحادية والمذاهب الهدامة؛ فهذا نوع هدم بطريق السلب

التسيب لهم، بل يبلغ بحرص عليهم، ويذكر توقيعه عن شرعه، وبلاغه عن ربه ونبيه -ﷺ-، وليذكر توصيفه وموقعه، فلا هو الرب ولا المشرع، وإن تعدى أخذ بعظيم جريرته، قال الله متوعدًا: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة:٤٤-٤٦)، وقال الله رب العالمين: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة:٦٧).

هل سمعت ما قيل؟! (فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ).

فإياك أن تظن أن أذى الناس مسوغ لعدم البلاغ الحق بلا تحريف أو كتمان ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فوازن بيْن بلاغ الدين وعدم التفات قلبك لرضا الناس أو سخطهم.

ثانيًا: التوازن في الطرح: ونعني به التحين للحال، فلا يكثر من وعظ تمل به القلوب، ولا يقلل منه حتى لا يعظ الناس وهو يراهم يقتحمون المهالك؛ فعن شقيق قال: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ بَابِ عَبْدِ اللهِ نَنْتَظِرُهُ، فَمَرَّ بِنَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّخَعِيُّ، فَقُلْنَا: أَعْلِمْهُ بِمَكَانِنَا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ: إِنِّي أُخْبَرُ بِمَكَانِكُمْ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا» (متفق عليه).

فهذا مع تمام دعوتهم وشدة حرصهم على دعوة الخلق للحق، يوازن في المادة المعروضة نفسها، وهذا التحين أثقل للقلب وأوعى له؛ تأمل دلالة قول الله -تعالى-: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (الفرقان:٣٢).

قال ابن جُريج: «لنصحح به عزيمة قلبك ويقين نفسك، ونشجعك به».

وروي معناه عن ابن عباس في وجه من وجهي تفسير الآية، فأحوال الناس تختلف بيْن النشاط والكسل، والإقبال والإدبار، ولكل حال ما يناسبه من العرض أو الإحجام، فخشية السآمة لمن استقام، أما عند موارد الهلاك فلا يسمَّى التذكير سآمة، ولا الإلحاح ضجرًا.

قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: قال النبي -ﷺ- يقول: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ» (متفق عليه)، وعن ابن عباس قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ، أَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَجَهَنَّمَ، إِيَّاكُمْ وَالْحُدُودَ، إِيَّاكُمْ وَجَهَنَّمَ، إِيَّاكُمْ وَالْحُدُودَ، إِيَّاكُمْ وَجَهَنَّمَ، إِيَّاكُمْ وَالْحُدُودَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِذَا أَنَا مِتُّ تَرَكْتُكُمْ وَأَنَا فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَ أَفْلَحَ» (رواه البزار، وحسنه الألباني لغيره).

فهذا إلحاح وتكرار عند مورد الهلاك؛ فلا يجوز مع انتشار الفحش واستمراء الباطل أن يكف الدعاة عن النصح، وبيان سبل مواجهته، والتحذير من عواقبه، وأقله أثرًا: الإعذار لنفسه، فضلًا عن كونه لبنة تغيير وإصلاح، فكم من غارق ينتظر واعظه، وكم من جانٍ متعد ردعته آية ووعيد، حتى أصلحت شأنه بعد فساده، واستعملته بعد عصيانه، وهذا مثل لا يحصى عدده، في إسلام فئام من خيار الخلق، بسبب هذا العرض والبلاغ، كما في قصة إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وكما في توبة الفضيل بن عياض.

فلا تتكاسل عن البلاغ بدعوى الملل والسآمة، في وسط المنابر الإلحادية والمذاهب الهدامة؛ فهذا نوع هدم بطريق السلب، وتول في يوم زحف، حري أن يُستبدل صاحبه، وأن يستعمل غيره، كما في الحديث: «إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ، وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ. فَقَالَ: يَا أَخِي، إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي، فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، فَقَعَدَ عَلَى الشُّرَفِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ...» (رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني)، فالبلاغ وظيفة النبوة، ومَن ورث العلم بعدهم، فقم على وظيفتهم قبْل أن يُحال بينك وبيْن تركتهم.



الحفظ الدائم لا يتحقق إلا بالتأديب التربوي

كتب: د. علي الزهراني

ما زلنا نتحدث عن بعض معالم التأديب التربوي للحلقات القرآنية؛ حيث ذكرنا أنه من الوسائل المساعدة على حفظ القرآن الكريم والتخلق بأخلاقه، والحصول على السعادة التي تنال بتزكية النفس وتكميلها، وإن تكميلها يكون باكتساب الفضائل؛ ولذلك لابد من معرفة الفضائل جملة وتفصيلا، وقياسًا على ذلك؛ فإن الحفظ المتين الدائم لن يتحقق إلّا بالتأديب التربوي.

٤- الاهتمام بإثارة الدافعية والرغبة الذاتية

يجد الكثير من الطلاب صعوبة في الحفظ، بل ربما يجد بعضهم صعوبة في حفظ مايطلب إليهم حفظه في الحلقات القرآنية؛ وسبب ذلك ليس ضعف القدرات العقلية، أو ضعف حافظة المتعلم في الغالب، وإنما السبب في ذلك ضعف الدافعية، أو الرغبة الذاتية لدى المتعلم؛ الأمر الذي يجعل التلميذ لايقبل على الحفظ والتعلم بسبب ضعف الرغبة والعزيمة؛ لأن غالب التلاميذ يأتون إلى الحلقة مدفوعين من آبائهم، ثم لايجدون في الحلقة القرآنية مايسيّر تلك البواعث والمستحقات الذاتية حتى بإقبال المتعلم على الحفظ والمراجعة والمنافسة في ذلك الميدان.

والباحث يرجع سبب ذلك إلى ضعف هذه الرغبة، وعليه فالواجب على المعلم أن يحرص على مراعاة هذا الجانب والبحث عن البواعث التي تدفع المتعلم إلى حفظ القرآن الكريم، وقد دلت الدراسات النفسية المعاصرة على وجود مايحرك الإنسان إلى تحقيق الهدف المحدد والمرغوب تحقيقه، وعليه فواجب القائمين على الحلقات القرآنية التأكيد على ضرورة إثارة هذه البواعث لدى التلاميذ، والتأكيد عليها حتى يصبح التلميذ مدركاً لهدفه، عارفاً بثمرة حفظه، راغباً فيما يحفظ؛ حيث دلت الدراسات على أن القدرة على استرجاع الخبرات السارة، أفضل من القدرة على استرجاع الخبرات المؤلمة؛ وبهذا يتطلب الأمر أن يتم التعلم في بيئة تربوية يغمرها الود والتقدير.

ومن الأمثلة على إثارة مثل هذه الدوافع الآتي:

أ- بيان عظيم الأجر والثواب لحافظ القرآن الكريم في الدنيا والآخرة.

ب- تشجيع التنافس الشريف بين الحفاظ.

ج- إشعار المتعلم بالإنجازات والنجاحات التي حققها في حفظه.

د - إقامة البرامج التربوية والرحلات والزيارات الميدانية للتلاميذ.

إن توفير هذا الجو في الحلقات القرآنية يؤدي إلى التفاعل والحفظ.

٥- الاستعانة بجهاز الحاسوب

لقد أصبح جهازالحاسوب من الوسائل الفعالة في التعلم والحفظ ويوجد برامج متخصصة في هذا الميدان، سواءً بكتابة ما أُنجز على الجهاز، ثم مقارنته بالآيات القرآنية المخزنة في برامج الحاسوب، أو تسجيلها على الجهاز عن طريق اللاقط، ثم الاستماع إلى الصوت المسجل، وهذا يحفز على الحفظ؛ لأن المتعلم يأنس لسماع صوته، أو عن طريق سماع القراءة من أحد الشيوخ أو أكثر، في ظني أن هذه وسيلة تساعد على الحفظ، وتشجع عليه، وتقدم هذه البرامج للطلاب عن طريق الجمعية برسوم رمزية، مصحوبة ببعض التوجيهات التربوية المناسبة التي تُعرض على الجهاز.

٦- تعويد التلاميذ على التكرار الموزع

يعد أسلوب التكرار أحد أساليب الحفظ الأساسية ودون التكرار لن يحصل الحفظ المتقن؛ حيث إن التكرار من طرائق الحفظ ومقصده التأثير في النفس، وتثبيت المعلومات، وقد أكد الزرنوجي أن الحفظ

يعد أسلوب التكرار أحد أساليب الحفظ الأساسية ودون التكرار لن يحصل الحفظ المتقن

الاهتمام بالتربية الإيمانية في الحلقات القرآنية أحد الوسائل الفعالة في مواجهة الانحرافات السلوكية

الموزع أفضل من التكرار المتصل؛ حيث قال: «إن التكرار تتبع فيه الطرائق الآتية: خمس مرات أول يوم، ثم أربع مرات في اليوم الثاني، وثلاث في اليوم الثالث، ومرتان في اليوم الرابع، ومرة في اليوم الخامس، وهذا أدى إلى الحفظ»، ولايعني هذا الاقتصار على خمس مرات، بل ربما زاد على ذلك، لكن المهم توزيع التكرار من الأكثر إلى الأقل، وهذا الرأي ذهب إليه علماء التربية الحديثة.

٧- إتقان مفهوم التلاوة الحقيقي

يعد إتقان التلاوة بمفهومها الحقيقي إحدى مهمات الحلقات القرآنية، والتلاوة المثمرة هي التي تتضمن مفهوم التلاوة الشامل :

١- التلاوة اللفظية: والمقصود بها قدرة التلميذ على إتقان التلاوة الصحيحة دون زيادة أو نقص في أحكام التجويد، كما هو متبع عند أهل الاختصاص.

٢- تلاوة المعنى: والمقصود بها تربية التلاميذ في الحلقات القرآنية على التدبر والتفكر في الآيات التي يتلونها ويحفظونها ويسمعونها، وهذا الأمر لن يتم إلاّ إذا أدرك التلاميذ معاني الآيات وتفسيرها وأسباب نزولها مع مراعاة قدراتهم ومستوياتهم.

٣- التلاوة الحكمية: والمقصود بها ثمرة التلاوة والحفظ داخل الحلقات القرآنية؛ بحيث يلتزم التلاميذ في الحلقات القرآنية بأوامر الآيات القرآنية التي حفظوها وسمّعوها ونواهيها، وعدم الخروج عنها ومخالفتها بأقوالهم أوسلوكهم.

٨- أساليب التجديد في الحفظ

يعد استغلال أوقات الإجازات في حفظ القرآن الكريم في بيئة جديدة من التجديد في أساليب حفظ القرآن الكريم، وقد لاحظت في السنوات الأخيرة بعض المعلمين يختارون الطلاب المتميزين الراغبين في الحفظ؛ فيأتون بهم إلى المسجد الحرام بمكة المكرمة، أو المسجد النبوي بالمدينة المنورة، أو مكان مناسب؛ حيث ينقطع هذا المعلم مع طلابه طول مدة الإجازة على أن تتخللها فترات للراحة تكون أسبوعية، أو يعطى إجازة أسبوع بعد نهاية كل شهر، ليذهب التلميذ إلى والديه أو كانوا بعيدين عن مكان إقامته، وقد استطاع عدد كبير منهم أن يحفظوا ويتقنوا القرآن الكريم، وكانوا يحددون بعض البرامج التربوية المصاحبة بهدف العناية بالجوانب الإيمانية والأخلاقية التي كان لها أثرها على سلوكهم وحفظهم وتفاعلهم؛ لدرجة أنها أنستهم وتنسيهم وحشة فراق الأهل وغربة المكان.

٩- العناية بالتربية الإيمانية

يعد الاهتمام بالتربية الإيمانية في الحلقات القرآنية أحد الوسائل الفعالة في مواجهة الانحرافات السلوكية؛ حيث إن الحلقة التي تركز على التربية الإيمانية، وتعمل على غرسها في نفوس طلابها منذ التحاقهم بالحلقة القرآنية؛ تؤدي إلى تنمية جوانب شخصياتهم، ومما يساعد على ذلك وجود برامج تربوية تكون مرتبطة بالمسجد الذي يتردد عليه التلميذ سواءً للصلاة أم للدرس أم لحفظ القرآن، والتي سوف تثمر شحنة إيمانية لايمكن أن تقف في وجهها أي أفكار انحرافية ويستمر هذا الإيمان يدفع إلى الشعور بالرضى والاقتناع بأن هذه الحياة ليست نهاية المطاف، وبالتالي يعمل على تحقيق الغاية التي خلق من أجلها ويسلم من المشكلات والضغوط المختلفة التي يتعرض لها الإنسان في حياته خاصة في هذا العصر المضطرب والتائه في بحار مظلمة من الأفكار المادية العمياء في مجتمع تكاد تسيطر عليه العلمانية» التي تمثل أهم أذرع الغزو الفكري المتنوع الأوجه والأقنعة.

أثر الوسط التربوي

وبهذا يتضح أن لنا أثر الوسط التربوي الصالح في نجاح التربية الإيمانية مع الحذر من اليأس في البيئة التربوية غير الصالحة، بل إن الواجب على المشرفين والمعلمين وأولياء أمور التلاميذ بذل كل الجهود لتحقيق متطلبات التربية الإيمانية في الحلقات القرآنية، والدارس لسيرة الرسولﷺ يلحظ عنايته بهذه التربية في غربة الإسلام، الأولى في مرحلة الإعداد والتكوين في مكة وما تبعها من ملامح التربية الشمولية في العهد المدني الذي أثمر التمكين بعد أن تكاملت الأصول الإسلامية وميادينها في المجتمع المدني، وتنوعت أساليب بناء الشخصية المسلمة.

١٠- عدم التساهل في القبول

إن الذي يتامل واقع الحلقات القرآنية اليوم يجدها مكاناً يجمع أولاد الحي أوالقرية، وكأنها تشبه الشارع أوالملعب، إلاّ أنها في المسجد، بل تحولت بعض الحلقات إلى تجمع لمؤانسة الطبع بين الأولاد، أو مكاناً يتخلصُ منه الآباء من أولادهم بعض الوقت؛ حيث يلاحظ فيهم أخلاقيات وسلوكيات وحركات بين التلاميذ لاتليق بأهل القرآن، ولاينبغي أن تظهر على شخصياتهم، والكثير من المعلمين يعانون مظاهر الإنحراف السلوكي لدى طلاب الحلقات الذين ليس لهم رأي في قبولهم ولايسمح لهم بتخصيص بعض الوقت بتوجيههم وتربيتهم باعتبار أن الحلقة مكاناً للحفظ والتسميع، وليس للتربية والتأديب.

وبناء على ماسبق فالواجب عدم التساهل في قبول الطلاب حتى لو اقتصر الأمر على قبول الطلاب الحسنة أخلاقهم وتعاملهم هذا من جانب، ومن جانب آخر الزام أمور التلاميذ بمتابعة أولادهم وزيارة الحلقة لمعرفة واقع التلميذ ماله وما عليه من خلال وجهة نظر المعلم.

رزانة العقول وقاية من السفول

بقلم: هيام الجاسم

العقل زينة لصاحبه وحماية وأمان له، العقل محراب العلم والمعرفة؛ ففيه بنات أفكار المرء وعنوان الضمير، ورأس مسقط الهداية، وبقدر ما يعلو قدر المرء برزانته وبعمق عقله؛ فإنه قد يسفل بإفلاسه وضحالته وسفاهته، ومثلما العقل بنضجه يسعفنا في مواقف كثيرة؛ فإنه قد يخذلنا في أحداث عديدة، ومثلما هو بوابة أمان لصاحبه؛ فهو بذاته مفتاح ضلال له، لغة العقل والتعقل لا يفهمها السفهاء ولا الحمقى؛ فما عسى المرء أن تكون أحواله بلا عقل وافر واف!

فالعاقل لسانه وراء عقله يضبطه ويلجمه، بينما الجاهل لسانه أمام عقله عنوانه الانفلات والاعوجاج! من افتقد حصافة ولبابة في عقله؛ فهو إلى السفاهة والحماقة أقرب، إن لم يكن قد أوقع نفسه في مستنقعهما، الرشد والحكمة رديفا لبابة العقل وأريبيّته، والسؤدد والشرف لا يؤتاهما خفيف العقل ضعيفه وساذجه!!

عزيزي القارئ، عزيزتي القارئة، إربآ بعقليكما عن السفول والسطحية والسذاجة في الأمر كله؛ فإن عرفكما الناس بتلك اللا تعقلية -والمرء يعرف بما اشتهر به-؛ فذلك مما يفقدكما هيبة المقام بين الناس وحتى بين أولادكم، عن محمد بن يحيى، قال: قلنا للضحاك بن مزاحم: يا أبا قاسم ما أعبد فلان وأروعه وأقرأه! قال كيف عقله؟ قلنا: نذكر لك عبادته وورعه وقراءته وتقول عقله! قال: «ويحك، إن الأحمق يصيب بحمقه ما لا يصيب الفاجر بفجوره» من بصائر العقل وبصيرته أنه يعينك على التمييز بين الخير، والشر، والحق، والباطل، والصواب، والخطأ، ويجعل التمييز والتمايز سبيلك في الحياة.

إن العقل في أصله وفطرته يتوافق تماما مع ثوابت الدين والأخلاق والمبادئ؛ فبالبصيرة يستطيع المرء أن يفرّق بين الصواب والخطأ وبين مسلك الفضلاء ومسالك الساقطين، وبالبصيرة يحمي المرء نفسه من كل سوء حتى قبل الوقوع به، فضلا عن الانخراط فيه، قال -تعالى- في محكم التنزيل: ﴿أفلم يسيروا



ليس الرجل الذي إذا وقع في الأمر تخلّص منه، ولكن الرجل يتوقّى الأمور حتى لا يقع فيها

من لوازم نجاح إدارة الزوجين للأسرة، عمق العقل لا سطحيته، ومن لوازم نجاح المرء في وظيفته وحياته العامة والخاصة سويَة عقله وأريّبيَته

متى ما أطلق المرء لانفعالات قلبه العنان، انفلتت بلا انضباط ولا سيطرة، وصارت تلك الانفعالات هي قائد الركب في تسيير العقل نحو مايهواه القلب

في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (الحج: ٤٦).

نضج العقل

أعزائي القراء، من أكبر منافع نضج العقل في تعقلاته أنه يحمي المرء بعد الاستعانة بالله من الوقوع في السقطات والأزمات التي هو في غنى عن الوقوع فيها، يقول سفيان بن عيينة -رحمه الله-: «ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر، ولكن العاقل الذي يعرف الخير فيتّبعه، ويعرف الشر فيتجنّبه» وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : ليس الرجل الذي إذا وقع في الأمر تخلّص منه، ولكن الرجل يتوقّى الأمور حتى لايقع فيها.

التعقل والإدراك

التعقل والإدراك مستويات عند الناس؛ فمنهم من لايملك سوى مستويات التفكير الدنيا ولايطمح للارتقاء إلى أعلى منها، يكتفي بالتلقين والفهم واستدعاء معلومة يبتغيها، وتذكّر حاجة قد نسيها، أو غفل عنها وفي الوقت نفسه هو يرى في نفسه أنه فائق التعقل راشدا، يملك فهما يحميه من ملمّات عديدة، ويجعله صاحب قرار سديد، في المقابل أيضا شريحة من الناس حباهم الله، إما وراثة أو اكتسابا مقدرة أعلى ومستويات في الإدراك عليا؛ فهم -بإذن الله- قادرون على الاستنتاج، والاستقراء، والتصنيف، والتحليل، والربط بين الأمور والأحداث في دقة متناهية، تسعفهم في اتخاذ القرار السليم في زحمة الحياة وضوضاء مجريات أمورها، بل ويجعله يحمل معه دوما حزمة من الأساليب الوقائية التي ملؤها الحذر لتجنب الوقوع في المشكلات التي تحصل لمن هو بسيط في تفكيره، وساذج في منطق عقله، مما يجعله دوما يطلب ممن حوله انتشاله من الأزمة التي أوقع نفسه فيها، أما من يملك علوا في نمط تفكيره؛ فإنه في غالب شؤونه متحصّن بالوقائيات من الوسائل الحصيفة.

أفضل مواهب الله

يقول بعض أهل العلم: أفضل مواهب الله لعباده العقل؛ ولقد ورد ذكر العقل في كتاب الله مائة وتسعا وأربعين مرة، والعقل نقيض الجهل، العقل والهوى أعداء أضداد؛ فيلزم المرء أن يضع هواه تحت مجهر عقله الذي هو متوافق مع ثوابت دينه، ومستمد تشريعاته منه؛ فالانضباط في دين الله يدفع المرء دفعا باتجاه لجم الهوى؛ فبالتعقل تصلح الضمائر والسرائر والمسالك؛ فلا شأناً رفيعًا ولا قدرًا فاضلًا لمن لا دين له وافراً ولا عقلاً عنده وافياً.

رشد العقل

حينما يطلب المرء زوجا صالحا أو صديقا راجحا؛ فيلزمه البحث أولا عن رشد العقل ولبابة الفهم مع ثبات على دين الله ، فما تنفع وجاهة ولا شهرة ولا جمال ولا غنى مال والعقل ساقط أو سفساف، أو تافه سطحي يرى جوهر الحياة في مظاهرها وبهرجتها والتشبع بما لم يعط والتفاخر بما لايملك، فضلا عن التكاثر وادعاء الأفضلية فيما يملك، ذلك من الانحراف عن جادة التفكير السوي الناضج.

قوامة الرجل

إن قوامة الرجل في أهل بيته تلزمه معها رجاحة عقل ناضج واع، وكذلك المرأة في بيت زوجها وأسرتها، وفي مراحل تربيتها لأبنائها وبناتها؛ فمن لوازم نجاح إدارة الأسرة للزوج وزوجه، عمق العقل لا سطحيته، ومن لوازم نجاح المرء في وظيفته وحياته العامة والخاصة سويَة عقله وأريّبيَته، قال معاوية بن أبي سفيان لرجل عمَر دهرا أخبرني بأحسن شيء رأيته؟ قال: عقل طلب به مروءة مع تقوى الله وطلب الآخرة. وقيل لابن المبارك: ماخيرما أعطي الرجل ؟ قال: غريزة العقل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: أدب حسن، قيل: فإن لم يكن؟ قال: أخ يستشيره، قال: فإن لم يكن؟ قال: فطول صمت، قال: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل!

فقه العقول

في فقه العقول ريادة للقلوب؛ فالمرء العاقل الذي يجعل قيادة الأمور لعقله، أما القلب بانفعالاته؛ فتكون تبعا لهيبة العقل ورزانته؛ فمتى ما أطلق المرء لانفعالات قلبه العنان، انفلتت بلا انضباط ولا سيطرة، وصارت تلك الانفعالات هي قائد الركب في تسيير العقل نحو مايهواه القلب، وعندها يطيش العقل طيشانا، يفقد معه بوصلته، ومفتاح رشده؛ فالعقل خير قائد، ومرشد لمشاعر القلب الذي هو -أي العقل- أصلا محكمة قرارته باحتكامها لشرع الله ثم استشارة أهل العلم وذوي الاختصاص.

فتنة العصر الجديد (٣)

خطورة حركة العصر الجديد

كتبت: هناء الأيوب

تكمن خطورة حركة العصر الجديد في خطورة الفكر الباطني التي تحمله، الذي يُعد من أقبح الأفكار والدعوات، وتكمن خطورته في الأمور الآتية:

نشر المعتقدات الباطلة

نشرها للمعتقدات والديانات الوثنية، والفلسفات الشرقية القديمة، ولكن بثوب حديث براق، وقد أصبح لها أتباع وأشياع، يسعون لنشر معتقداتهم عبر تطبيقات وممارسات عديدة، والخطورة الكبرى تكمن في أن أتباع هذه الحركة غالبًا يقعون في الشركيات دون أن يُقدروا خطورة مايعتقدون مثل: المميزات الشفائية في الأحجار الكريمة- ممارسة اليوجا- التعامل بالسحر- الاستعانه بالجن، وغيرها.

وذلك يتعارض ولا شك مع الأصول العامة لأغلب الديانات السماوية، حتى إن كثيرا من القساوسة حذروا منها؛ فحريّ بنا -نحن المسلمين- التصدي لها ومحاربتها؛ فلا يغتر بالثياب البراقة المزخرفة الجذابة التي توحي بسلامة تلك التطبيقات وخلوها من الشوائب، مما قد يجر المسلم من حيث لايدري إلى مستنقع الشرك أو الإلحاد والخروج من الدين والعياذ بالله.

إضفاء الصبغة العلمية

ومن خطورة هذه الحركة، أنها تحاول إضفاء الصبغة العلمية على كل الممارسات الباطنية التي تتبناها؛ لذلك نرى أن برامجها وتطبيقاتها، تحمل ألفاظاً متلبسة غامضة توحي بعلميتها، وتختار ألفاظًا معروفةً عند الناس كي تروج، وراجت -مع الأسف- في حين أنها برمتها تصنف في الأوساط العلمية المعتمدة إما علمًا زائفًا، أو سحرًا وشعوذةً، أو أوهامًا وخرافات مثل: (البرمجة اللغوية العصبية، وقانون الجذب، والتنفس التحولي، والتنفس العميق، والتأمل التجاوزي، والتأمل الارتقائي، والاسترخاء، العلاج بالطاقة، والحرية النفسية، والعلاج بخط الزمن، والإسقاط النجمي، وفتح العين الثالثة، اليوجا، وطاقة المكان، وطاقة الأحجار الكريمة، والداوزينج، وغيرها من المسميات التي هي بعيدة كل البعد عن العلم الصحيح، وعن أي عقيدة سماوية، بل وحتى عن الفطرة والبديهيات والعقل؛ لذلك أدرك العقلاء في الغرب فورًا انتماء تلك الممارسات إلى عالم الروحانيات الباطنية والسحر والشعوذة؛ فألزموا المدربين بالإفصاح عن ذلك.

تكمن خطورة حركة العصر الجديد في خطورة الفكر الباطني الذي تحمله ونشرها للمعتقدات والديانات الوثنية، والفلسفات الشرقية القديمة

ولكن - مع الأسف- تلقف الكثيرون من العرب والمسلمون تلك الأفكار، ولم يمحصوها أو يبحثوا قليلاً عن أصولها وحقيقتها، بل أخذوا يدافعون عنها وعن روادها بشراسة، متبعين مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، وقالوا: لا دخل لنا بأصولها بما أنها تحقق لنا السلام والشفاء وكل ما نريد، حتى أصبحوا مُعاونين بطريقة غير مباشره للقائمين على تلك الحركة الباطنية.

مصطلحات ومفردات

من هنا لابد لنا من إدراك أن تلك الحركة تتخفى تحت مصطلحات ومفردات مبهمة لنا بوصفنا عربا، وتعطي معنى مخادعاً في الظاهر، وتستر المعنى الحقيقي في الباطن، وفي الواقع أنه عندما يسأل أحد ما عن معنى مصطلح، أو مفردة من تلك التي تتداول بين ممارسي روحانيات العصر الجديد، كالذات العليا، أو المرشد الروحي، أو الأجسام الأثيرية، أو الطاقة الإيجابية والطاقة السلبية، وغيرها كثير؛ فهو يسأل عن معاني مفردات نابعة من العلم الباطني؛ لذلك يفضل أن يكون توضيح المعنى من

هذا العلم نفسه، وليس من أي مكان آخر، حتى تعطي التفسير الصحيح المقصود من وراء تلك المفردة، وسيتضح للسائل حينها، أن هناك فرقا بين المعاني السطحية التي تتداول بين الناس، التي يروجها رواد الحركة في الغرب، والمعنى الحقيقي الذي أُخفي عنهم بقصد أو بجهل!

فساد المعارف

كما تكمن خطورتها بفساد المعارف التي تتبناها الحركة لفساد مصادرها؛ حيث إن مصادر المعرفة لديها مشوبا؛ مما يتسبب في اختلال المعرفة تبعاً لذلك، وهذا لا يناسبنا بوصفنا مسلمين؛ فالعلم في الإسلام لا يصح إلا من طريق الوحي، أو البحث العلمي التجريبي الموثق، وما عداهما فلا يمكن ضبطه ولا القطع بصحته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «العلم شيئان: إما نقل مصدق، وإما بحث محقق مع القطع بصحته، وما سوى ذلك فهذيان مسروق»، فما لا يُثبته العلم هو دعوى غيب لا تثبت إلا بالوحي، أما مزاعم الكشوف والإلهامات والتجارب الباطنية والاستشفاء الذاتي فمداخل شيطانية ، لا يقبلها عقل ولا نقل.

العلوم الغيبية

وقد اعتاد أتباع حركة العصر الجديد على الاعتقاد بمصادر مباشرة للعلوم الغيبية تتجاوز طريق النبوة؛ فالمعارف عندهم قد يكون مصدرها التأملات الشرقية، والممارسات الخرافية بما يشبه الكهانة، حتى ردد بعضهم عبارات مشينة مثل قولهم: «لكل منا وحيه الخاص- من يقول: إن الوحي مصدر علوم الغيب وحده؟!»، ونحو ذلك مما يتفق مع عقائد غلاة التصوف وباطنية الشرق والغرب، ويتعارض صراحة مع مصادر التلقي عند أهل الكتاب والسنة.

السحر والشعوذة

بعض البسطاء لا يدركون أن قول: «فلسفات أو عقائد وثنية باطنية»، يعني أنها لابد أن يدخلها الكثير من التواصل بالأرواح، وقد ينكر بعضهم فكرة السحر والشعوذة من خلال تلك الممارسات الروحانية؛ وذلك لأنهم يجهلون أن كل تواصل بالأرواح الذي هو عالم الجن في شرعنا الإسلامي يدخل تحت مسمى السحر وهو محرم؛ فقد خدعهم الغرب باسم الروحانيات والملائكة والتشافي وجذب الأموال!

من خطورة هذه الحركة، أنها تحاول إضفاء الصبغة العلمية على كل الممارسات الباطنية التي تتبناها

انتشارها الواسع

ومن الخطورة الشديدة الانتشار الواسع لهذه الحركة في المجتمعات الإسلامية، سواء من خلال المراكز المرخصة لأغراض أخرى أم غير المرخصة، وفي الحدائق العامة والمعارض المقامة في المرافق العامة والمجمعات التجارية، حتى أخذ هذا الفكر الباطني يستقطب شرائح مختلفة من جميع الفئات: شباب وراشدين - نساء ورجال - مثقفين وغير مثقفين - عاملات وربات بيوت - الأطفال والمراهقين؛ وذلك من خلال تجمعات ولقاءات منظمة، يقودها مدربون ومدربات من متبني هذا الفكر الباطني، وذلك كله وسط جهل أو تجاهل من قبل الجهات المسؤولة ومن بيدهم القرار؛ فإلى الله المشتكى.

تحقيق العبودية

ختامًا نذكر بقوله -تعالى-: {وَمَن يَبتَغِ غَيرَ الإسلام دينًا فَلَن يُقبَلَ مِنهُ وَهُوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرينَ}(آل عمران: ٨٥)؛ فالله -تعالى- قد أكمل لنا ديننا؛ فما حاجتنا لأفكار من ضلّ عن الطريق؟

نقول: هل سمعتم بملك يعيش في قصر جميل ذي أثاث وثير ولديه مالذ وطاب، من المآكل والمشارب والملابس، والخدم والحشم، والحدائق والبساتين، يترك ذلك كله ويتجه لأحياء الفقراء يتسول عندهم؟ فيفرح بكسرة خبز يابسة أو بشربة ماءٍ آسن؟

قالت لي ذات يوم أخت مسلمة مؤيدة لاستضافة محاضِرة روحية (هندوسية): نحن نتعلم منها فقط الروحانيات، كالسعاده، والمحبة، والسكينة، ولاشأن لنا بدينها!

فقلت لها: -سبحان- الله! وهل يقتات الملوك على فتات موائد الفقراء؟

نحن ملوك بإسلامنا، دين الروحانية والسعادة في الدارين؛ فوالله الذي لا إله إلا هو لو علموا مانتمتع به من روحانيات لنازعونا عليه.

نحن نرفل بنعمة عظيمة وأي نعمة! نحن ننعم بدين عظيم قال فيه رب العالمين: {اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الإِسلامَ دينًا}(المائدة: ٣).

فهل يعقل أن يمتلك المسلم هذه النعمة الكبرى (الإسلام)، ثم تبهره وتستهويه ثقافات وممارسات، بل ومعتقدات أديان وثنية سالفة مليئة بالخرافات و الخزعبلات، وجدت في كهوف الكهنة والسحرة ؟ والغريب أنه يعد ذلك رقيّاً وانفتاحاً!!

نؤكد على أن تحقيق العبودية لله رب العالمين هو المخرج للأمة اليوم؛ فبتحقيقها تزكو النفوس، وتطمئن القلوب؛ فوالله الذي لا إله إلا هو إن في القلب لفاقة، لايسدها إلا معرفة الله -تعالى-، وفي القلب شعث لايلمه إلا تحقيق العبودية لله -تعالى.

التحذير من الشماتة في أمور الدنيا والدين

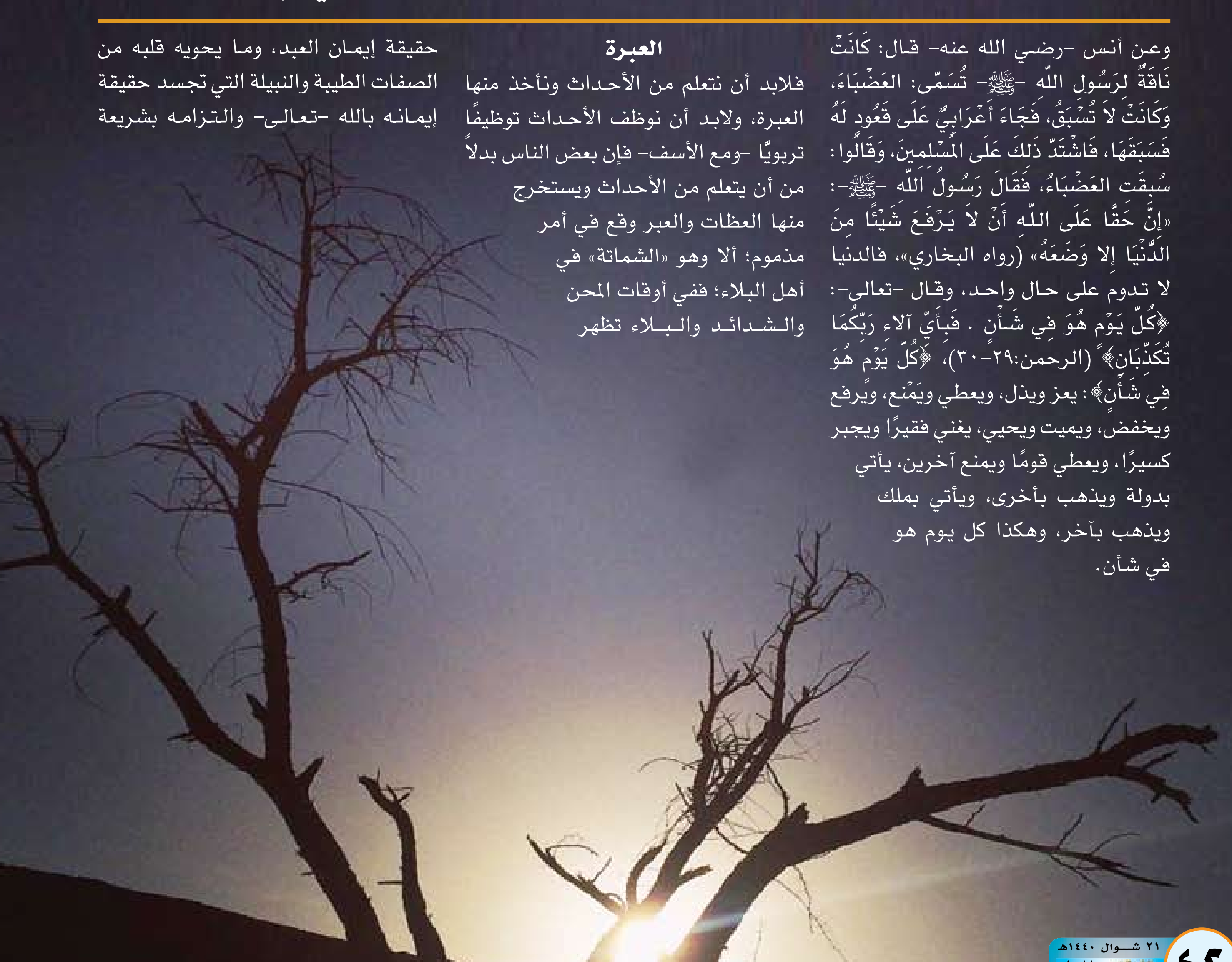
د. زين العابدين كامل

قال الله -تعالى-: {وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (آل عمران:١٤٠)، أي: وتلك الأيام يصرّفها الله بين الناس نصرة مرة وهزيمة أخرى؛ لما في ذلك من الحكمة حتى يظهر ما علمه الله في الأزل ليميز الله المؤمن الصادق من غيره، ويكرم أقوامًا منكم بالشهادة، والله لا يحب الذين ظلموا أنفسهم، وقعدوا عن القتال والجهاد في سبيله.

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- تُسَمَّى: الْعَضْبَاءَ، وَكَانَتْ لاَ تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَالُوا: سُبِقَتِ الْعَضْبَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلا وَضَعَهُ» (رواه البخاري)، فالدنيا لا تدوم على حال واحد، وقال -تعالى-: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} (الرحمن:٢٩-٣٠)، {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}: يعز ويذل، ويعطي ويَمْنع، ويرفع ويخفض، ويميت ويحيي، يغني فقيرًا ويجبر كسيرًا، ويعطي قومًا ويمنع آخرين، يأتي بدولة ويذهب بأخرى، ويأتي بملك ويذهب بآخر، وهكذا كل يوم هو في شأن.

العبرة

فلابد أن نتعلم من الأحداث ونأخذ منها العبرة، ولابد أن نوظف الأحداث توظيفًا تربويًا -ومع الأسف- فإن بعض الناس بدلاً من أن يتعلم من الأحداث ويستخرج منها العظات والعبر وقع في أمر مذموم؛ ألا وهو «الشماتة» في أهل البلاء؛ ففي أوقات المحن والشدائد والبلاء تظهر حقيقة إيمان العبد، وما يحويه قلبه من الصفات الطيبة والنبيلة التي تجسد حقيقة إيمانه بالله -تعالى- والتزامه بشريعة



لابد أن نتعلم من الأحداث ونأخذ منها العبرة، ولابد أن نوظف الأحداث توظيفًا تربويا؛ لأن بعض الناس يقع في أمر مذموم ألا وهو الشماتة في أهل البلاء

في أوقات المحن والشدائد والبلاء تظهر حقيقة إيمان العبد، وما يحويه قلبه من الصفات الطيبة والنبيلة التي تجسد حقيقة إيمانه بالله -تعالى

الإسلام، وسلامة صدره من الغل والحقد، والحسد والبغض وحب الذات، ونحو ذلك.

وفي الحديث عن أنس -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (رواه البخاري ومسلم)، أي لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه أيضًا.

السرور بما يصيب أخاك

والشماتة هي: السرور بما يصيب أخاك من المصائب في الدين والدنيا، وهي مذمومة منهي عنها، وتأملوا في قوله -تعالى- عن صاحب ياسين: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ . وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنْقِذُونِ . إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ . قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}(يس:٢٠-٢٧).

أي: جاء من مكان بعيد في المدينة رجل مسرع، وذلك حين علم أن أهل القرية هموا بقتل الرسل أو تعذيبهم، فقال: يا قوم اتبعوا المرسلين إليكم من الله، اتبعوا الذين لا يطلبون منكم أموالاً على إبلاغ الرسالة، وهم مهتدون فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده، وأي شيء يمنعني من أن أعبد الله الذي خلقني، وإليه تصيرون جميعًا، أأعبد من دون الله آلهة أخرى لا تملك من الأمر شيئًا؟! إن يردني الرحمن بسوء فهذه الآلهة لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا تستطيع إنقاذي مما أنا فيه، إني إن فعلت ذلك لفي خطأ واضح ظاهر، إني آمنت بربكم فاستمعوا إلى ما قلته لكم، وأطيعوني بالإيمان.

فلما قال ذلك وثب إليه قومه وقتلوه، فأدخله الله الجنة، فقيل له بعد قتله: ادخل الجنة إكرامًا له، قال وهو في النعيم والكرامة: يا ليت قومي يعلمون بغفران ربي لي وإكرامه إياي بسبب إيماني بالله وصبري على طاعته، واتباع رسله حتى قُتلت، فيؤمنوا بالله فيدخلوا الجنة مثلي.

والشاهد: أنه حين غمره الفرح بدخول الجنة لم يشمت بهم، بل كان حريصًا على هدايتهم حتى بعد موته {قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}، وهكذا يكون المؤمن صاحب الإيمان القوي الكامل.

شماتة الأعداء

وقد خشي هارون -عليه السلام- من شماتة الأعداء، قال الله -تعالى-: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} الأعراف:١٥٠).

أي: ولما رجع موسى -عليه السلام- إلى قومه من بني إسرائيل غضبان حزينًا؛ لأن الله قد أخبره أنه قد فتن قومه، وأن السامري قد أضلهم، قال موسى -عليه السلام- بئس الخلافة التي خلفتموني مِن بعدي، أعجلتم أَمْر ربكم؟ أي: أستعجلتم مجيئي إليكم وهو مقدّر من الله -تعالى-؟ وألقى موسى -عليه السلام- ألواح التوراة غضبًا على قومه الذين عبدوا العجل، وغضبًا على أخيه هارون -عليه السلام-، وأمسك برأس أخيه يجره إليه، قال هارون -عليه السلام- مستعطفًا: يا ابن أمي إن القوم استذلوني وعدّوني ضعيفًا وقاربوا أن يقتلوني، فلا تَسرَّ الأعداء بما تفعل بي، ولا تجعلني في غضبك مع القوم الذين خالفوا أمرك وعبدوا العجل.

سُوءِ الْقَضَاءِ

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- «كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ، وَمِنْ جَهْدِ الْبَلاءِ» (متفق عليه)، ومن دعاء السلف: «اللهم ارْزُقْنَا علمًا نَافعًا، وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً، وَلا تُشْمِتْ بنَا عَدُوًّا وَلا حَاسدًا»، ويروى في الأثر: «لا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ بِأَخِيكَ، فَيُعَافِيَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيَكَ»؛ فليَحذر المسلمُ من الشماتة بأهل البلاء؛ فإنّه لا يأمن أن يبتليه الله بما ابتلاهم فيه.

وكان عمر -رضي الله عنه- يقول للناس: «لا تعيروا أحدًا فيفشوَ فيكم البلاء»، وعن سويد بن غفلة قال: «كَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ خَلِيفَةَ الْخَثْعَمِيَّةُ عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَلَمَّا أُصِيبَ عَلِيٌّ وَبُويِعَ لِلْحَسَنِ بِالْخِلافَةِ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: لِيَهْنِكَ الْخِلافَةُ، فَقَالَ لَهَا: أَتُظْهِرِينَ الشَّمَاتَةَ بِقَتْلِ عَلِيٍّ؟! انْطَلِقِي فَأَنْتِ طَالِقٌ ثم ردها بعد ذلك»، ويقول إبراهيم النّخعي -رحمه الله-: «إنّي لأرى الشيءَ أكرهه، فما يمنعني أن أتكلم فيه إلا مخافة أن أبتلى بمثله».

ندعو الله أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وألا يشمت بنا عدوًّا ولا حاسدًا.



فتاوى الشيخ عبد الله بن عبدالرحمن بن جبرين -رحمه الله-

حكم استخدام الكفار في بناء المساجد

■ ما حكم استخدام الكفار في بناء المساجد؟

● لا يجوز تمكين الكفار من دخول المساجد، وقد ذكر شيخ الإسلام في الاقتضاء: أن أبا موسى قدم على عمر بحساب العراق؛ فقال: ادع كاتبك يقرؤه؛ فقال: إنه لا يدخل المسجد؛ لأنه نصراني؛ فضربه عمر بالدرة؛ فلو أصابته لأوجعته، وقال: لا تعزوهم؛ إذ أذلهم الله، ولا تصدقوهم؛ إذ كذبهم الله، ولا تأمنوهم؛ إذ خونهم الله... إلخ، وقد ذكر الله أن المشركين نجس، ومنعهم أن يقربوا المسجد الحرام؛ فأخذ العلماء من ذلك إبعادهم عن الحرم كله، للنهي عن قربهم من المسجد، ولا شك أن نجاستهم معنوية، وهي خبث عقائدهم وما يضمرونه من الحقد والبغضاء للمسلمين، واعتقادهم أن الإسلام دين باطل، وأن نبي المسلمين كاذب؛ ولأن الإسلام هو الذي أهانهم وأضعف دينهم النصراني واليهودي؛ فلا جرم أن يحرصوا على الكيد للمسلمين والمكر بهم، والاحتيال لما يخرجهم عن دينهم، وعلى هذا لا يجوز دخولهم المساجد؛ لأنهم ليسوا من أهلها، قال الله -تعالى-: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ}، لكن العمارة هنا هي العبادة والطاعة.

ثم إن الكفار في هذه الأزمنة تمكنوا في بلاد الإسلام، وعمت بهم البلوى، وتولوا الكثير من الشركات والمؤسسات، ووكل إليهم تمكين العمارات والقيام بالمشاريع العامة والخاصة؛ فصار من جملة أعمالهم عمارة المساجد أحيانا، أو بعض الأعمال الخاصة بها: كالتخطيط، والهندسة، والكهرباء، والصيانة، والإشراف على شيء من ذلك، ولاشك أن هذا تساهل كبير وتمكين للكفار من مثل هذه الأعمال التي تختص بالمسلمين، ومعلوم أن هناك من المسلمين من يحسن مثل هذه الأعمال، ويقوم بها أحسن قيام، لكن أصحاب المؤسسات يخيل إليهم أن المسلمين ضعفاء، وأن معرفتهم ناقصة، وأنهم لا يتقنون هذه الأعمال، وهذا خطأ كبير؛ فالمسلم أولى بالمنفعة، وهو أعرف وأقرب إلى الإخلاص وأهل الثقة والأمانة.

التداوي بالقرآن

■ ما حكم التداوي بالقرآن؟

● لا بأس بذلك؛ فإن الله -تعالى- أخبر بأن القرآن شفاء، وأن منه شفاء؛ فقال -تعالى-: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ}، وقال -تعالى-: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}، وقال -تعالى-: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ}، ويؤخذ من هذه الآيات، أن الاستشفاء به يختص بالمؤمنين العاملين به، المصدقين بأنه كلام الله، وأن ذلك يستلزم اعتقادهم صحة التداوي به، واطمئنان قلوبهم إليه، ولابد مع ذلك من صحة إيمان القارئ وعمله بالقرآن، ومعرفته بالآيات والسور التي يتداوى بها: كآيات السكينة، وآيات الشفاء، وآيات التخفيف، وآيات الأسماء والصفات للرب -عز وجل- وآيات التوحيد والاعتماد على الله -تعالى- ويكون ذلك بأن ينفث المريض على نفسه مع قراءتها، أو ينفث عليه القارئ ويقرؤها، أو يخص العضو المتألم فينفث عليه ويمسحه بيده، ويكرر ذلك مرارا، وهذا -بإذن الله وقدرته- يشفي من كل الأمراض: كالمس، والعين، والسحر. والأمراض المستعصية: كالسرطان، والقروح، والأعضاء المتآكلة، وذلك واقع ومجرب ولو استبعده الأطباء وعامة الناس؛ فإن التجربة أكبر برهان. والله أعلم.

حكم من أسلم ظاهرا

■ هل كل مسلم مؤمن؟

● لا شك أن من دخل في الدين وعمل بشرائعه يوصف ظاهرا بأنه مسلم، ويدخل في عموم المؤمنين، وقد أمر الله بالإسلام، كما أمر بالإيمان في مواضع عدة، وفسر الإسلام بأنه الاستسلام والانقياد مع الخضوع، وذلك يستلزم فعل كل طاعة وعبادة، وترك كل معصية ظاهرة، كما فسر الإيمان بأنه عقد القلب على اليقين بكل الأمور الغيبية التي ورد ذكرها في الوحيين، وذلك التصديق الجازم يستلزم انقياد الجوارح بفعل الأوامر وترك الزواجر؛ فلهذا ذهب أهل السنة إلى أن الأعمال البدنية داخلة في مسمى الإيمان، لكن اختار بعض العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية أن إطلاق لفظ الإسلام لا يعم الإيمان الكامل، واستدلوا بقوله -تعالى- {قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا}، ورجح آخرون ومنهم ابن رجب في شرح حديث جبريل المشهور، أنه إذا أفرد اسم الإيمان دخل فيه الإسلام، وكذا العكس؛ فإذا قرن بينهما فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بأعمال القلب، وذكر أحاديث فيها تفسير الإسلام بالإيمان والأعمال الباطنة، وتفسير الإيمان بأعمال الجوارح وبكل حال؛ فالمشهور أنهما مراتب؛ فالإسلام أعمها يدخل فيه كل من اعتنق هذا الدين ولو لم يطبق تعاليمه، والإيمان وصف أعلى منه، يخص من زاد بالعمل وجزم بالقلب الأمور الغيبية، واندفع إلى طلب الثواب بفعل الأسباب، واستعد للقاء ربه أتم استعداد. والله أعلم.

معنى الورود: وإن منكم إلا واردها

■ **ما معنى الورود في قوله -تعالى-: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟**

● ذكر ابن كثير في التفسير أقوالا وآثارا عدة عن السلف في تفسير الورود للنار، منها: أن الورود الدخول، لقوله -تعالى-: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾، ومنها: أنه العبور على الصراط المنصوب على متن جهنم، وفي بعض الآثار أنهم يقال لهم: قد مررتم عليها وهي خامدة، وفي بعضها أنها تقول: جز يا مؤمن؛ فقد أطفأ نورك لهبي، وقيل: إن الورود قيامهم حول النار، ثم يصدرون بأعمالهم، وكان كثير من السلف يشتد خوفهم؛ فيقولون: أخبرنا الله أنا نردها، ولم يخبرنا أنا نصدر عنها، وقد ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة مرفوعا: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم»، وقد ذكر ابن حجر في فتح الباري (١٢٤/٣) خلافا في الورود المذكور، وصحح القول بأنه الدخول ثم الخروج، أو أنه المر عليها، واستدل على ذلك، وضعف القول: بأنه مختص بالكفار، أو أنه الدنو منها، أو الإشراف عليها، أو أنه ما يصيب المؤمن في الدنيا من الحمى، وذكر الحديث الذي رواه مسلم أن النبيﷺ قال: «لا يدخل أحد شهد الحديبية النار»، قالت حفصة: أليس الله يقول: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟ فقال: أليس الله يقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾؟ وبكل حال فإذا قيل: إنه الدخول؛ فإنها لا تضر المؤمن، بل يعبرها ولا يحس بحرارتها، ويبقى فيها من كتب له بعض العذاب، أو كتب أنه مخلد فيها.

حكم إكرام الرجل الكافر

■ **ما حكم إكرام الرجل الكافر؟**

● ورد النهي عن ذلك؛ لأنه من التولي المذكور في قوله -تعالى-: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، وقد روى أحمد عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قلت لعمر إن لي كاتبا نصرانيا؛ فقال: مالك قاتلك الله؟! أما سمعت قول الله -تعالى-: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾؟! قلت: لي كتابته وله دينه، قال: لا أكرمهم؛ إذ أهانهم الله، ولا أعزهم؛ إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم؛ إذ أقصاهم الله. رواه البيهقي وعنده: فانتهرني وضرب فخذي وقال: أما وجدت في أهل الإسلام من يكتب؟ لا تأمنهم؛ إذ خونهم الله... إلخ. ولأحمد عن عمر لا تستعملوا اليهود والنصارى؛ فإنهم يستحلون الرشا، وقال شيخ الإسلام في الاقتضاء: الولاية إعزاز وأمانة، وهم يستحقون للذل والخيانة، والله يغني عنهم المسلمين؛ فلا يجوز استعمالهم لما فيه من إعلائهم على المسلمين، وقد قالﷺ: «لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق، فاضطروهم إلى أضيقه»، وقال: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»، وكتب خالد بن الوليد إلى عمر: أن بالشام كاتبا نصرانيا لا يقوم خراج الشام إلا به؛ فكتب إليه عمر مات النصراني، والسلام. أي: قدر موته. وذكر ابن القاسم عن مالك قال: لا يستكتب النصراني؛ لأن الكاتب يستشار؛ فلا يستشار النصراني في أمر المسلمين.

وذكر ابن عبد البر أن بعض الفقهاء دخل على المأمون وعنده كاتب يهودي مقرب لديه؛ فأنشده قوله: إن الذي شرفت من أجله يزعم هذا أنه كاذب؛ فخجل المأمون وأمر بإخراج اليهودي مسحوبا على وجهه، وأنفذ عهدا ألا يستعان بأحد من أهل الذمة في شيء من أعماله، وقد نص الفقهاء على أنه لا يجوز تصديرهم في المجالس، ولا القيام لهم، وأنهم يمتهنون عند أخذ الجزية، ويطال وقوفهم وتجر أيديهم.

التشهير بأخطاء المؤسسات الخيرية

● **هل يجوز التشهير بأخطاء المؤسسات الخيرية؟**

■ لا شك أن المؤسسات الخيرية تعمل لأجل الدار الآخرة، وترجو الثواب من الله -تعالى-؛ فالواجب عليهم أن يسلكوا مسالك الإصلاح، وأن يعملوا بما فيه الخير للأمة، وأن يجتنبوا كل شيء يقدح في عملهم؛ فإذا لوحظ على بعض العاملين شيء من المخالفات، وجب نصيحته وتحذيره من التلاعب بهذا العمل، أو ابتزاز شيء من ذلك المال لصالح نفسه، أو تقديمه بعض العاملين على بعض، أو إيثاره بعضهم بمكافأة، أو زيادة راتبه لأجل قرابة، أو صداقة مع وجود من هو مثله، أو أحق منه، ومتى عثر على بعض المسؤولين في إحدى المؤسسات يرتكب أخطاء؛ فالواجب نصيحته وتحذيره، ولاسيما إذا كان من المشاهير الذين يثق الناس بهم، ويعتقدون فيهم الصلاح والاستقامة؛ فإن اعتذر بعذر مسوغ قبل منه، وإن أصر على خطئه جاز التشهير به حتى يتجنب الناس التعامل معه، ولا يأمنونه على مساعداتهم، أو تبرعاتهم التي يقصدون بها وجه الله والدار الآخرة.

أوراق صحفية

مظلوماً .. منتصراً

بقلم: سالم الناشي
رئيس تحرير مجلة الفرقان
لندن ٢٤/٦/٢٠١٩م

● الظلم من الكبائر، وهو ظلماتٌ يوم القيامة، كما قال النبيﷺ: «اتّقوا الظلم؛ فإنّ الظلم ظُلمات يوم القيامة»، وقال -عليه الصلاة والسلام-: يقول الله -عز وجل- في حديثه القدسي: «يا عبادي، إني حرمتُ الظلم على نفسي، وجعلتُه بينكم محرّمًا؛ فلا تظالموا».

● وفي آية ١٩ من سورة (الفرقان) قال -تعالى-: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾، وأيضا في آية ٨ من سورة الشورى: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾؛ فالظلم شرُّه عظيم، وعاقبته وخيمة، قالﷺ: «اتّقُوا الظُلمَ ما اسْتَطَعْتُمْ فإنّ العبدَ يَجيءُ بالحَسَنات يومَ القيامةِ يرَى أنّها سَتُنْجيه فما يزالُ عَبْدٌ يَقُومُ يقولُ: يا رَبِّ ظَلَمَني عبدُكَ مَظْلَمَةً؛ فيقولُ: أتمُوا من حَسَناته، ما يزالُ كذلكَ حتى ما يَبْقَى لهُ حسنةٌ مِنَ الذنوبِ».

● والظالمون لا يهديهم الله -تعالى- ولا يحبهم ، قال -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٨)، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ٥٧)

● ومن أعظم الظلم وأكبره وأشنعه، الشرك بالله العظيم، قال -تعالى-: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(لقمان: ١٣).

● وقد وردت كلمة (مظلوما) مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله -تعالى- في الآية (٣٣) من سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾.

● و(الحق) هنا ما قرره الشرع من إقامة الحدود على القاتل والزاني المحصن وقتل المرتد، والمظلوم هنا من قتل بغير هذه الثلاثة؛ فقد جعل الله لولي المقتول سلطانا على قاتل وليه؛ فإن شاء استقاد منه فقتله بوليه، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذ الدية. ويسمى في الشرع القود، والإسراف في القتل بأن يقتل غير قاتله، أو التمثيل بالمقتول، قصاصا أو قتل اثنين بواحد.

● وولي المقتول هنا هو المنصور على القاتل، وقيل بل المقصود بها المقتول، وقيل بل إن دم القتيل كان منصورا على القاتل.

● وللمظلوم أن يدعو على ظالمه؛ فقد قال رسول اللهﷺ: «واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»، كما له أن يتخذ الأسباب المشروعة لاسترداد حقه من الجهات المختصة.

● قال الله -سبحانه-: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ (النساء: ١٤٨).

● أي من ظلم فله أن يقول ظلمني فلان، أو أن يقول: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج حقي، اللهم حل بينه وبين ما يريد من ظلمي، وله أن يدعو على من ظلمه، وإن صبر فهو خير له.

● •وقال -تعالى-: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فأولئك مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾(الشورى: ٤١).

● وقالﷺ: «مطل الغني ظلم»؛ فالموسر المتمكن إذا طولب بالأداء ورفض السداد فقد ظلم، وذلك يبيح أن يتكلم عنه كأن يقال: إن فلانا لا يسدد ما عليه ويماطل ويأكل حقوق الناس .

● ثم إن من عظمة هذه الشريعة أنها منعت الظلم حتى ولو نحو البهائم؛ فعن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله ذات يوم خلفه فأسرّ إليّ حديثا لا أخبر به أحدا أبدا، وكان رسول الله أحب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل؛ فدخل يوما حائطا من حيطان الأنصار فأتى جملٌ قد أتاه؛ فجرجر وذرفت عيناه، وقال بهز وعفان: فلما رأى رسولَ الله حنَّ وذرفت عيناه؛ فمسح رسول الله سراته وذفراه فسكن؛ فقال: «من صاحب الجمل؟»؛ فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله؛ فقال: «أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملككها الله لك؟! إنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه»!

● إن إقامة العدل وعدم الظلم مع أي أحد هو من الدعوة إلى الله وأساس المجتمعات المسلمة، وإن نصر المظلوم والدفاع عنه من أوجب الواجبات على المسلمين، ولاشك أنه سبيل إلى الأمن والاستقرار في المجتمعات الحية.

•قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «إن العدل هو الذي أُنزلت به الكتب، وأُرسلت به الرسل، وضده الظلم، وهو محرم في كتاب الله -تعالى- وفي سنة نبيه محمد -صلى الله عليه وآله وسلم».